الباب التمهيدي
تعريف العولمة
ونسق تطورها التاريخي
ومقارنتها مع عالمية الأديان

الباب التمهيدي

تعريف العولمة

ونسق تطورها التاريخي ومقارنتها مع عالمية الأديان

منذ عقدنا العزم على الكتابة في موضوع " العولمة " Globalization[1] وتأثيرها على النظم القانونية القُطْرِيَة؛ ولا يزال همنا وشغلنا الشاغل التفكير في البداية التي يستهل بها موضوع كهذا. حيث أبحرت فيه أقلام المفكرين والكتاب وتشبعت بهذا المصطلح الذي أثار الجدل بين حاضر المدن شرقا وغربا وفي القرى والتجمعات بتنوع مشاربها الثقافية؛ بحسبان أن العولمة أصبحت واقعا في عالمنا المعاصر؛ برغم أنها ليست فريدة الحدوث؛ إلا أنها بهذا الظهور مرتبطة بتطورات غير مسبوقة في المجالات الفكرية والاقتصادية والتكنولوجية، دفعت في اتجاه ترابط العالم، مما جعل الاهتمام والبحث في مفهومها وأبعادها وتداعياتها على مستقبل الحضارة البشرية أمرا في غاية الأهمية، فكانت لذلك موردا خصبا يتسع المجال لدراسة أبعادها وجوانبها الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية وعلى التشريعات التي تنظم هذه الجوانب؛ ومنها غير ذلك؛ محل اجتهاد جمع المفكرين، وعليه فكل واحد من هؤلاء يتناولها من الجانب الذي يعنيه. ولذلك فهناك العديد من التعريفات والأوصاف التي حاول أصحابها تصوير العولمة على حقيقتها أو الاقتراب منها.

وإذا كان الحال على ما تقدم، فإنه يجدر الإشارة قبل الخوض في تعريف "العولمة" إلى أنها ليست كما يتصورها البعض أو يصورها على أنها حديثة الظهور؛ فلِمُختلف حقب التاريخ عولمتها وإن اختَلفتْ ظواهرها وقوتها بفعل ما تمتلكه من مقومات القوة والسلطة ترتب عليها قيام حضارات وإمبراطوريات في

[1] يستخدم مصطلح Mondialiation في اللغة الفرنسية للإشارة إلى ظاهرة العولمة.

أحيان معينة سعت كل منها بشكل أو بآخر لنشر أفكارها وما يرتبط بتلك الأفكار من قيم، ومثل عليا، ومقومات، واتجاهات، وأنماط سلوك .

فالعولمة ظاهرة قديمة ومتكررة ولا تحدث بين ليلة وضحاها، بل تتجمع خلال فترة من الزمن، كما يتم توجيه بعض الظروف واقتناص بعض الفرص أو كلها، واستثمار بعض العوامل المساندة، بحيث توفر جميعها متضافرة؛ تربة مناسبة لظهور العولمة، واستمرارها معتمدة على استثمار تلك الظروف والفرص والعوامل " وتلك الأيام نداولها بين الناس"[١].

وفي هذا الاتجاه ذهب أحد الكتاب بالقول أن: "العولمة الراهنة التي نراها الآن لا تعدو أن تكون هي الشراب القديم في آنية جديدة، وإنما بأسلوب مختلف تمليه ظروف وطبيعة جديدة، ولا بد أن الإنسان قد شعر بأن العالم قد أصبح قرية واحدة، وبشيء شبيه بها مرات عدة من قبل، فالإنسان الأوربي مثلا قد شعر بشيء من هذا عندما وطئت قدماه القارة الأمريكية لأول مرة منذ خمسة قرون، وعندما أبحرت أول سفينة بخارية منذ ما يقارب من قرنين من الزمان، وعندما نظر رجل الفضاء لأول مرة إلى كوكب الأرض منذ نحو أربعين عامًا، كل ذلك قبل أن يخرج إلينا الإنسان المعاصر مزهوًّا أو مندهشًا من بزوغ ظاهرة الشركات المتعددة الجنسيات التي يفوق حجم مبيعات كل منها حجم الناتج القومي لعدة دول مجتمعة ".

ويضيف أن "ماركس وانجلز كانا يتكلمان عن هذه الظاهرة نفسها، ظاهرة العولمة منذ مائة وخمسين عاما، عندما كتبا في "البيان الشيوعي" أن السلع التي تخرج من مصانع الرأسمالية ستأخذ في الانتشار شرقا وغربا، ولن يفلح في صدها أي سور ولو كان بمناعة سور الصين العظيم"[٢].

ويرى أحد الباحثين الفرنسيين أن " ملامح الاتجاه نحو العولمة للعقود التي تبرمها الدولة أنها بدأت منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وبدءا من السبعينات

---

[١] د. همام بدراوي زيدان، ورقة بحث مقدمة إلى ندوة الإسلام " والعولمة " المقامة بمركز السلطان قابوس للثقافة الإسلامية ـ مسقط ٢٣ و ٢٤ إبريل ٢٠٠٦م

[٢] د. نجيب بو خيرة، دراسة التاريخ الإسلامي في ظل العولمة الثقافية، مقال منشور على موقع: www.binnabi.net/

من القرن العشرين! وبرز ذلك من خلال قبول الدول للتحكيم... وكذلك من خلال الاتفاقات المبرمة في مجالات متعددة مع أطراف أمنية في إطار عقود التنمية"[1].

وجدير بالذكر أن بعض من بحث في موضوع العولمة وجد أن هذا المصطلح يتداخل مع بعض المفاهيم الأخرى، من بينها (الكوكبة) و(الكونية) وإن كان البعض منهم اعتبر أنها تعبير عن واقع واحد؛ اكتسبت في القرن الماضي اهتماما خاصا بفعل الأحداث والمستجدات التي شهدها القرن الماضي لعل من أهمها:

١- انهيار الاتحاد السوفيتي القوة العظمى الثانية في العالم وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى دون منافس.

٢- التطور العلمي الكبير والمتسارع في مجال الاتصالات والتكنولوجيا المرتبطة بها، مما ساعد على تدفق المعلومات والأفكار، فكان له بالغ الأثر على فتح رحاب أوسع في العلاقات الدولية.

٣- فرض الشركات متعددة الجنسيات هيمنتها في مجال تبادل السلع وانتقال رأس المال والمعلومات والأفكار واتخاذ العالم كله مسرحا لعملياتها في الإنتاج والتسويق، وما يتبع ذلك من هدم الحواجز الجمركية وإلغاء نظام التخطيط وإعادة توزيع الدخل.

٤- زيادة عدد الذين أتاحت لهم وسائل التكنولوجيا الحديثة التفاعل مع العالم الخارجي سواء من داخل الدول المتقدمة أم من الدول النامية.

---

(1)Jean- Bernard Auby, La globalisation, Le droit et I´État.

"Ment àcompter des années 1970, que la tendance à I´ internationalization se manifestern en ce qui concerne les contrats d´État. La denationalization concernera d´abord le rédes différends: les État acceptèrent de plus en plus souvent I´ arbitrage. Aves I´ appuipossible de la convention pour le règlement des différends relatifs auxinvestissements entre États et ressortissants d´ autres États, signée àwashington en 1965 Elle affectera ensuite le fond du droit, au travers de convention bilatérales ou multilatérales d´ investissement qui multiplièrent".

الأمر الذي دفع البعض من أمثال (فرانسيس فوكوياما، وتومس فريدمان) أن يطلق على العولمة المعاصرة بكل تداعياتها بأنها تمثل نهاية التاريخ البشري، بمعنى أنه لن يقدر لقوى أخرى أو أنواع أخرى من العولمة أن تظهر، حيث حسمت الرأسمالية المعركة والصراع لصالحها وإلى الأبد، وتوجت العالم المعاصر بأفكارها وأيديولوجيتها وقيمها ومبادئها، وهذا الاتجاه من وجهة نظرنا محل نظر، خصوصًا في ضوء المتغيرات التي شهدها العالم مؤخرًا، ولا يزال يشهد المزيد منها إلى أن تستقر الأوضاع.

إلا أن باحثين آخرين تصدى بالنقد إلى التفسير الحتمي للتاريخ، يعتبرون أن العولمة المعاصرة ما هي إلا نتيجة ترتبت على سياسات معينة تم صنعها وتطبيقها بوعي وإرادة حكومات وبرلمانات الدول التي وقعت على الاتفاقات التي أسهمت في ذيوع ونشر السياسات الليبرالية الجديدة، وصياغة القوانين التي طبقت، ونفذت تلك السياسات؛ ففي كل هذه الأمور لم تكن هناك حتميات لا يمكن تجنبها، بل إرادات سياسية واعية بما تفعل، وعبرت عن مصلحة القوى والمنظمات والشركات التي لها مصالح دولية تمتد في قارات المعمورة.

وعلى هدي ما تقدم تكمن إشكاليات العولمة سواء على المستوى النظري أو التطبيقي، ويمكن التعبير عن هذه الإشكاليات من خلال تناولها بالبحث في فصلين:

- **الفصل الأول: العولمة والعالمية . اختلاف أم اتفاق.**
- **الفصل الثاني: آثار العولمة ومستقبلها .**

1

الفصل الأول

العولمة والعالمية ـ اختلاف أم اتفاق

الفصل الأول

العـولمة والعالمية ـ اختلاف أم اتفاق

يمكن القول أن العولمة في أبسط تعريف يمكن أن يقال عنها هي: جعل المحلي عالمياً؛ فهي وصف لعمل مستمر تدل عليه كلمة، لكنها في الوقت نفسه وصف لبعض نتائج هذا التعولم . وهذا التعريف يقبل به عدد من المفكرين .

ويعزو البعض ظاهرة " العولمة " إلى حركة الإيقاع السريع التي باتت تشكل روح العصر، مما أوجد حاجة ماسة إلى اختراع مصطلح جديد لمفهوم سمي بالكوننة أو العولمة الذي كان أول من أطلقه معرفيا عالم الاجتماع الكندي " مارشال ماك لوهان " إبان صياغته لمفهوم القرية الكونية " Global Village " في نهاية عقد الستينات[1].

وإذا كانت العولمة بالمفهوم السابق؛ فإن العالمية تعبير يدل على التنوع الثقافي أي الاعتراف المتبادل بين ثقافات شعوب المعمورة بحيث يكون العالم منفتحا على بعضه مع الاحتفاظ بتنوعاته.

وبهدف الوقوف على ظاهرة العولمة التي باتت تشغل العالم ووجه الفرق بينها وبين العالمية، سوف نقسم هذا الفصل إلى مبحثين:

- المبحث الأول: تعريف العولمة وآلياتها.
- المبحث الثاني: عالمية الدين والعولمة.

[1] د. جاسم محمد زكريا، مفهوم العالمية في التنظيم الدولي المعاصر، منشورات الحلبي الحقوقية ٢٠٠٦م، ص : ٣٩٦ .

المبحث الأول
تعريف العولمــة وآلياتها

العولمة، تلك الظاهرة الجديدة القديمة وما لها من تأثير على الحضارة الإنسانية عامة والدول العربية والإسلامية بصورة خاصة. ومما لا شك فيه أن تعريفات العولمة متعددة، ومتنوعة، ومتغايرة، ومتمايزة بصورة كبيرة بحسب أيديولوجيات المفكرين والباحثين. فمن الموالين والذائدين عنها إلى الرافضين والمعارضين لها، ومن الموضوعيين في تصورها إلى الذاتيين في معالجتها، ومن المركزين على جوانبها المتعددة إلى الحاصرين لها في جانب واحد، ومن النابهين والمستفيدين من خيرها والتاركين لما سواها، ومن أهل الخبرة فيها إلى المتحدثين فيها بغير علم ولا وعي ولا منهج ولا نظام، ومن العارفين بمفهومها وحقائقها وآلياتها إلى الخالطين لها بين المفاهيم المتعددة. ومن خلال هذا المبحث سوف نقف على ما يلي:

المطلب الأول: تعريف العولمة.

المطلب الثاني: آليات العولمة.

المطلب الأول

تعريف العولمة

اصطلاح العولمة مشتق من المصطلح الفرنسي (Mondialisation) أي جعل الشيء على مستوى عالمي؛ وهذا المصطلح هو ترجمة لمصطلح (Globalization) الإنجليزي الذي استخدم أول مرة في الولايات المتحدة الأمريكية بمعنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكلي.

والعولمة: من العالم، على وزن " فوعلة " أو " فعللة " وهو رباعي مخترع. وتعولمنا: أي صرنا عالميين. والعالَم: عوالم. وعَالَمون. وعَلاليم: الخلق كله [١].

وقد أجاز مجمع اللغة العربية في القاهرة استعمال " العولمة " في التداول بمعنى جعل الشيء عالميا. والعولمة لغة ومثلها الرودنة[٢]، والحوقلة[٣]، والقوقعة، والهوجلة[٤]، على وزن فوعلة من المصادر[٥] القياسية في اللغة العربية، وبالتالي فهي مصطلح سليم من حيث النحت والتركيب.

والمصادر في اللغة العربية وفي كثير من اللغات؛ تختص دون سواها من المفردات باتساع اتجاهاتها الدلالية من حيث إمكان اتجاهها أكثر من وجهة وربما في ذات السياق المستخدم، فهي قد تنوب مناب الفعل فيكون معناها أداء الفعل الذي مادته الجذر اللغوي الذي هو " العالم "هنا وبذلك يكون معنى العولمة: جعل الشيء مادة العولمة " عالميا " أو على مستوى العالم، وقد يكون

---

(١) المنجد في اللغة، الطبعة الخامسة والثلاثون، ص: ٥٢٧.
(٢) الرودنة: التعب.
(٣) الحوقلة: سرعة الشيء ومقاربة الخطو، وهي عند اللحياني: الإعياء والضعف ، وفي الصحاح حوقل حوقلة وحيقالا إذا كبر وفتر عن الجماع .
(٤) النوم الخفيف.
(٥) المصدر عند الكوفيين مصدر لصدوره عن الفعل، فيما عند البصريين أصل المشتقات لصدور الأفعال عنه.

المصدر مفعولا مطلقا فيكون بذلك مؤكدا لفعله والمصدر في الأصل: اسم دال على حدث جار على فعله.

والعولمة على وزن قولبة، مصطلح نسبة إلى العَالم . بفتح العين . أي الكون، وليس نسبة إلى العِلم . بكسر العين . والعالم لا مفرد له كالجيش، وهو مشتق من العلامة على ما قيل، وقيل مشتق من العلم، فالعولمة كالرباعي في الشكل فهو يشبه (دحرجة) المصدر، لكن (دحرجة) رباعي، أما "عولمة " فرباعي مخترع إن صح التعبير، وهذه الكلمة بهذه الصيغة الصرفية لم ترد في كلام العرب، والحاجة المعاصرة قد تفرض استعمالها وهي تدل على استعمالها، وهي تدل على تحويل الشيء إلى وضعية أخرى، ومعناها:

وضع الشيء على مستوى العالم، وأصبحت الكلمة دارجة على ألسنة الكتاب والمفكرين في الوطن العربي"[١].

واصطلاحا فقد عرفت العولمة بأنها: الحركة الاجتماعية التي تتضمن انكماش البعدين الزماني والمكاني مما يجعل العالم يبدو صغيراً يحتم على البشر التقارب بعضهم من بعض.

ويصح أن يقال عن العولمة أنها ظاهرة تعبر عن التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك، دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة، أو انتماء إلى وطن محدد لدولة معينة، ودون حاجة إلى إجراءات حكومية. ويعبر عنها البعض بقوله[٢]: " إنها تتجسد في نشوء شبكات اتصال عالمية تربط جميع الاقتصاديات والبلدان والمجتمعات ليخضعها لحركة واحدة، ويتمثل باندماج منظومات رئيسية:

---

[١] علي يوسف الشكري، حقوق الإنسان في ظل العولمة، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٢٤ وما بعدها.

[٢] مقال للدكتور إبراهيم ناجي علوش، " تقدير برنامج التكيف مع العولمة، نموذج برهان غوليون، منشور على موقع http://www.freearabvoice.org/arabi/maqalat/BurhanGhaliun.htm تطرق فيه إلى مقتطفات للدكتور إبراهيم غوليون مستقاة من كتاب ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، صادر عن دار الفكر، دمشق عام ١٩٩٩م.

١- المنظومة المالية: عبر سوق واحدة لرأسمال، وبورصة عالمية واحدة.
٢- المنظومة الإعلامية والاتصالية: عبر فضائيات تغطي الكرة الأرضية وشبكات اتصالات تجعلها قرية واحدة.
٣- المنظومة المعلوماتية: التي تجسدها بشكل واضح شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

إذن هناك العديد من المفاهيم لظاهرة العولمة والتي لا يمكن أن نقترب من تعريف شامل لها إلا إذا وضعنا في الاعتبار ثلاث عمليات تكشف عن جوهر هذه الظاهرة، وهي:

- انتشار المعلومات.
- تذويب الحدود بين الدول.
- زيادة معدل التشابه بين الجماعات والمؤسسات.

وبعبارة أخرى يمكن إجمال تعريف العولمة: بأنها هيمنة النمط الرأسمالي الغربي على العالم، ليتلازم معنى العولمة في مضمار الإنتاج والتبادل المادي، مع معنى الانتقال من المجال الوطني إلى المجال العالمي وذلك ضمن مفهوم تعيينٍ مكاني جغرافي وهو الفضاء الكوني برمَّته، وتعيينٍ زماني تاريخي وهو حقبة ما بعد الدولة الوطنية.

وإن هذا المعنى يصب في عودة الهيمنة الغربية من جديد، إلا أنها في شكل مختلف عما كان سائدا أيام الاستعمار ببسط النفوذ ونشر الجيوش على أرض الدولة المستعمرة، وإنما تتبوأ المنظومة المعلوماتية الريادة بدلا من الطائرة والدبابة والمدفع، وبفضل المنظومة المعلوماتية يتم نشر العلم والثقافة، ولكن ليس الثقافة التي نطمح إليها، وإنما الثقافة التي تريدها الدول المتقدمة وعلى الأخص الدول الغربية منها، وبذلك يكون النظام الرأسمالي قد خرج من واجهة المزاحمة والمنافسة الحرة إلى واجهة الاحتكار والهيمنة والاستعمار الجديد[1].

[1] يعرف محمد المختار ولد السعد العولمة بأنها: " آلية من آليات التطور الرأسمالي، تتسم بمسعاها إلى صهر شعوب الأرض وثرواتها في دينامية اقتصادية عالمية تسيطر عليها الشركات العابرة للقارات وأساطين المال والرأي في الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الكبرى، وتسخر

وعرف باحث آخر العولمة بأنها: "اتجاه تاريخي يهدف إلى انكماش العالم، وزيادة وعي الأفراد بهذا الانكماش "، ويتفق مع هذا الرأي (Malcolm Waters) حيث يرى أن العولمة هي: " كل المستجدات التي تسعى بقصد أو من دون قصد إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد"[٢].

ويذهب آخر في تعريف له للعولمة وأسماه التعريف الإجرائي باعتبارها " سرعة تدفق السلع والخدمات ورؤوس الأموال والأفكار والبشر بين الدول من دون حدود ولا قيود".[٣]

ويقول باحث متخصص في هذا المجال "أنه لا شيء جديد في قواعد النظام العالمي، حيث لازال القانون لا يطبق إلا على الضعفاء، بينما الأقوياء يفعلون ما يريدون، حتى ولو كان ذلك متعارضا مع القانون، كما أن ما يطلق عليه الإصلاح الاقتصادي، والعقلانية الاقتصادية، وتهميش دور الدولة، لا تفرض إلا على الضعفاء، بينما الأغنياء يتمتعون بقوة الدولة، وحق التدخل في شؤون الآخرين دولا كانت أم جماعات أم أفرادا"[٤].

من جانبه حاول باحث أمريكي . وضع نظرية حول العولمة بطريقة تحليلية، إذ رأى "ضرورة وضع تعريف واضح للعولمة، يؤدي إلى تحديد محتواها، بشكل دقيق، ولذلك يقول :"... وإن كان يبدو مبكرا وضع تعريف كامل وجاهز، يلاءم التنوع الضخم، لهذه الظواهر المتعددة، وعلى سبيل المثال، يقيمُ مفهومُ العولمة علاقةً بين مستويات متعددة للتحليل: الاقتصاد، السياسة، الثقافة الأيديولوجيا، وتشمل إعادة تنظيم الإنتاج، تداخل الصناعات عبر الحدود، انتشار أسواق

لخدمتها ما وفرته ثورة تقنية المعلومات والاتصالات من تقنيات ووسائل، وهي أيضا أيديولوجية إقصائية نابذة للثقافات الأخرى، وساعية إلى تنميط ذوق الناس وميولهم وأفكارهم وفق النموذج الأمريكي، وتحويل الثقافة إلى سلعة ". أنظر: عوائق الإبداع في الثقافة العربية بين الموروث الآسر وتحديات العولمة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ص: ٩ وما بعدها .

[٢] فتحي درويش عشيبة، الثقافة الإسلامية للطفل والعولمة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ص: ١٦ .

[٣] السيد ياسين، في مقال منشور له بجريدة الحياة التي تصدر في لندن، العدد الصادر بتاريخ ٢٦م ١٠ / ٢٠٠٨م.

(4) Noam Chomsky, World Orders, Old and New , Columbia University . Press, 1994 , P. 48

التمويل، تماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول، نتائج الصراع بين المجموعات المهاجرة، والمجموعات المقيمة في ظل ذلك كله، فإن مهمة إيجاد صيغة مفردة، تصف كل هذه الأنشطة، تبدو عملية صعبة، حتى ولو تم تطوير هذا المفهوم، فمن المشكوك فيه أن يتم قبوله واستعماله بشكل واسع"[١].

من جهة أخرى فقد عرف صندوق النقد الدولي " العولمة " بأنها: " الاعتماد المتبادل أو التواكل الاقتصادي المتنامي لمجموع بلدان العالم، مدفوعا بازدياد حجم المبادلات العابرة للحدود، والمتمثلة في السلع والخدمات ورؤوس الأموال، مع الانتشار المتسارع الشامل للتكنولوجيا"[٢].

من ناحيته يذهب باحث متخصص إلى أن المعنى الأساسي " للعولمة " يتلازم في مضمار الإنتاج والتبادل المادي والرمزي، مع معنى الانتقال من المجال الوطني أو القومي إلى المجال الكوني ... "[٣].

ويعرف: أحد الباحثين، في مقال له بجريدة " الشرق الأوسط " العولمة " بأنها نتاج فكري أو بتعبير أدق أداة فكرية يراد منها السيطرة على مساحات الإبداع المتاحة، عن طريق تغيير ألوانها والتحكم في فضاءاتها بألوان

---

(١) د. عماد يونس، العولمة (تاريخ ـ أبعاد) ومؤثرات على العالم العربي، بحث في التاريخ السياسي، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان ٢٠٠٥م، ص : ٤١، عن: جيمس روزناو ـ أحد أبرز علماء السياسة الأمريكيين.

(٢) محمد هشام خواجكية، وأحمد حسين الرفاعي، القطاع الخاص العربي في ظل العولمة وعمليات الاندماج: التحديات والفرص، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ص: ٩.

(٣) د. عماد يونس، المرجع السابق، ص : ٤٣ نقلا عن د. عبدالإله بلقزيز.

" عرفت اللجنة الأوربية في عام ١٩٩٧م " العولمة بأنها:" العملية التي عن طريقها تصبح الأسواق والإنتاج في الدول المختلفة معتمدة كل منها على الأخرى، بشكل متزايد بسبب ديناميات التجارة في السلع والخدمات وتدفق رأس المال والتقنية، وهي ليست ظاهرة جديدة، ولكنها استمرارية للتطورات التي تتابعت لفترة طويلة. وقد علق جراهام تومبسون على هذا التعريف بقوله: " ربما نكون في حاجة إلى تعريف وتحديد أوضح للعولمة بين أوجه الاختلاف وبين ما نطلق عليه الاقتصاد العالمي على مستوى الكوكب والاقتصاد العالمي بمفهوم التدويل " فهذا الأخير يمثل هيكلا جديدا للعلاقات الاقتصادية غير المندمجة قوميا؛ وهو اقتصاد يعمل من أعلى وبشكل مستقل عن الاقتصاديات القومية ووكلائها ويحدث تأثيره فيهم ويطبعهم بصبغة معينة وشكل معين، وهو يشتملهم داخل ديناميته، وسوف يكون اقتصادا يتملص من عنصر التوجيه، ويجسد الخصائص الأساسية لقوى السوق غير المنظمة التي لا يمكن السيطرة عليها. أنظر أحمد صدقي الدجاني، العولمة وأثرها في المجتمع والدولة ـ سلسلة يصدرها: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ص: ٢٠.

وفضاءات فكرية يراد لها أن تتحول إلى قناعات ومسلمات مشتركة بين البشر، أو على الأقل أن تتصاحب المشارب الفكرية المختلفة بدلا من أن تتصارع، هذا في ظاهر الأمر، أما الباطن فيتلون بحسب نية كل فئة وطموحاتها الفكرية إن كان في المجال العقدي أو في المجال الثقافي بشكل أرحب"[١].

بينما يعرف: كاتب غربي " العولمة " بأنها " طموح للانتقال من الأنماط والموديلات القديمة للتفكير والإدارة والإدراك الشخصي والتفاعل بين الناس، والاقتصاد العالمي إلى نماذج جديدة من العلاقات على الصعد الاجتماعية والسياسية والثقافية، والقومية، والإقليمية أو العالمية"[٢].

وفي تعريف العولمة يقول باحث أنها: " ظاهرة تتداخل فيها أمور الاقتصاد والسياسة والثقافة والاجتماع والسلوك، يكون فيها الانتماء إلى العالم كله عبر الحدود السياسية للدول، ويسهم في صنع هذه التحولات ظهور فعاليات جديدة هي الشركات المتعددة الجنسيات (TNCS) التي تتسم بالضخامة، وتنوع الأنشطة، والانتشار الجغرافي، والاعتماد على المدخرات العالمية، وتعبئة الكفاءات من مختلف الجنسيات وتبرز بفعل قضايا لها صفة العالمية، مثل قضية الممتلكات العامة البشرية من بحار وفضاء وقارة قطبية جنوبية، وقضية حماية البيئة وتحرك سكان الأرض، وقضية الفقر في العالم، وقضية الجريمة المنظمة".

ويستطرد في بحثه لندوة " العرب والعولمة " أن مفهوم الكوكبة يعطي البعد الحقيقي لمفهوم الاستغناء الكامل عن الدولة في المجال الاقتصادي، وإسناد هذا الدور للشركات المتعددة الجنسيات، بما يسهم في ذلك من تعميق للفوارق

---

(١) مقال منشور لـ (إبراهيم بن عبدالله) جريدة الشرق الأوسط، العدد : ٩٣١٠ بتاريخ ١٦ / ٥ / ٢٠٠٤م.

(٢) مقال منشور" بصحيفة الحياة " التي تصدر في لندن، للكاتب: أناتولي يغورين، العدد : ١٥١٠٧ بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٧م.

وارتفاع لوتيرة الاستقطاب المتزايد بين الأقلية الغنية والأغلبية الفقيرة في العالم"[1].

ويذهب باحث آخر إلى القول: " أنّ الشركات متعددة الجنسيات، في عصر العولمة، قد حلّت محل الدولة. كما حلت الدولة محل الإقطاعية تدريجياً منذ خمسة قرون، تحل اليوم الشركة متعددة الجنسية تدريجياً محل الدولة، والسبب في الحالين واحد: التقدم التكنولوجي وزيادة الإنتاجية والحاجة إلى أسواق أوسع، فلم تعد حدود الدولة القومية هي حدود التسويق الجديدة، بل أصبح العالم كله مجالا للتسويق، سواء كان تسويقاً لسلع تامة الصنع، أو تسويقاً لمعلومات وأفكار، فقفزت الشركة المنتجة فوق أسوار الدولة، وأخذت هذه تفقد قيمتها الفعلية، بل أصبحت أكثر فأكثر أسواراً شكلية، سواء تمثلت في حواجز جمركية، أو حدود السلطة السياسية، أو حدود بث المعلومات والأفكار، أو حدود الولاء والخضوع... إنني ما كنت لأذرف الكثير من الدموع حزناً على انحسار سلطة الدولة لولا أنّ الذي يحل محل الدولة هو الشركات العملاقة متعددة الجنسيات. فأي مؤشر هناك يدلني على أن الحرية التي أتمتع بها في ظل سطوة هذه الشركات أكبر وأوسع مما كنت أتمتع بها في ظل سطوة الدولة؟ هل أنا بحاجة إلى أن أذكركم بما تفعله وسائل الإعلام الحديثة بحرية الرأي والتفكير، أو بما تفعله سطوة هذه الشركات بحرية المرأة ومكانتها؟ أو بمدى تحملها للاختلاف الحقيقي في الرأي؟[1]. إن هذا الباحث إنما يتلمس هموم ملايين الناس في شتى أقطار المعمورة، حول ما تثيره ظاهرة العولمة، والتحديات التي تفرضها على الشعوب، كما تفرض تحدياتها على الحكومات، وذلك في ظل عدم وضوح حدود ومدى العولمة.

---

[1] أحمد صدقي الدجاني، المصدر السابق، ص: ٢١ وما بعدها.

[1] د. جلال أمين، العولمة، اقرأ ـ سلسلة ثقافية شهرية تصدر عن دار المعارف ـ العدد: ٣٦ .

ويتفق باحث آخر مع الطرح القائل أن العولمة " تتضمّن معنى إلغاء حدود الدولة القومية في المجال الاقتصادي (المالي والتجاري) وترك الأمور تتحرك في هذا المجال عبر العالم وداخل فضاء يشمل الكرة الأرضية جميعها". " والعولمة تضغط في اتجاه تنامي قواعد وعلاقات قانونية لا تكترث بالحدود الجغرافية لمقر الأطراف المعنية بها"(٢).

ومحاولة الباحثين تشخيص هذه الظاهرة لم تقف عند حد معين، فاعترض البعض على كل محاولات تسطيح مصطلح العولمة، ووصفت بإمبراطورية الفوضى، أو بالمملكة، أو كونها عالم بلا دولة، بل هي رفع الدولة إلى تركيب أعلى، مما يعني التعديل في دورها ووظائفها الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، " فالعولمة هي: " رسملة " العالم على مستوى العمق، بعبارة أخرى، إن ظاهرة العولمة التي نعيشها الآن، هي طليعة نقل دائرة الإنتاج الرأسمالي . إلى هذا الحد أو ذاك . إلى الأطراف، بعد حصرها طوال هذه المدة كلياً في مجتمعات المركز ودوله؛ بمعنى إعادة صياغة مجتمعات الأطراف وتشكيلها على الصورة الملائمة لعمليات التراكم المستحدثة في المركز ذاته، إنّ صعود مرحلة عالمية دائرة الإنتاج ونشرها هي ما نسميه اليوم بالعولمة، وهي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة الدول الغربية المتقدمة وبقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ".

إنها نقلة نوعية في حياة الرأسمالية التاريخية من التبادل والتجارة إلى الإنتاج. إنها شكل من أشكال الفوضى، أو هي الفوضى لا أكثر، ورغم كل التناقضات، فإن عملية العولمة تدار بكليتها من مواقع الدول الراعية لها بكفاءة

(2)Jean- Bernard Auby, La globalisation, Le droit et I´État.
"I° Dans I´univers globalisé s´exerce une tension dans le sens du développement de normes, de mécanismes juridiques, indifférents à la territorialisation du droit, sont une source de coùts, de frottements, voire d´incohérences".

عالية، إنّ فينومينولوجيا[٢] العولمة كما تم رصدها ، تعمل في الغالب لا على تغيير العالم ولا على فهمه، ولا على تفسيره، بل تعمل على تكريسه وتسويغه وتبريره وعقلنته على حساب الطرف الأضعف في المعادلة.

وتركز المستشارة بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في القاهرة، على البعد الثقافي لظاهرة العولمة، وترصد التغييرات الإيجابية المصاحبة لها في النقاط التالية:[٣]

١- تجاوز الفرد للدائرة الضيقة للإعلام الوطني في ظل الثورة التكنولوجية.

٢- اتساع مساحة الحرية أمام المتلقي، وتزايد قدرة القنوات الفضائية غير الحكومية على مناقشة جميع القضايا بطرح الرأي والرأي الآخر؛ بحيث صارت تلك القنوات ساحات للممارسة الديمقراطية التي تفتقدها على مستوى الواقع أغلب الدول النامية.

٣- تنشيط الصناعات المختصة للاتصال المرئي، وفتح مجالات للعمل أمام العمالة المتخصصة وإن كان التطور المتلاحق في تكنولوجيا الفضائيات قد ترك أثراً حول عملية إحلال العمالة المدربة والاستغناء عن سواها، بحيث أصبح سوق العمل هنا أكثر تخصصاً.

٤- فتح ظهور شبكة الإنترنت وانتشارها عالمياً مجالات لا حدود لها للمعرفة واكتساب المعلومات لتسهيل الاتصال بين الأفراد ومن ثم بين الثقافات، ومع نهاية القرن العشرين تنامى باطراد الاتجاه نحو المزج

---

(١) يجزم أغلب من أرخوا لتاريخ الفكر الفلسفي أن مصطلح الفينومينولوجيا عُرف في الفلسفة الكلاسيكية كمصطلح تابع للدراسات النفسية، ويعني ارتباط الموضوع بملكة الإحساس غير الوهمي ارتباطا يؤدي إلى تمظهره تمظهرا يحقق الموضوعية.

(2) Hatelet - Fracois- la philosophie de kant ahusserl- Marabout (Universite-tome3- Paris 1973-p:289/290).

(٣) مهند إبراهيم أبو لطيفة، العولمة وغياب المشروع الحضاري العربي، بحث منشور على الانترنت، نقلا عن الدكتورة نجوى الفوال

http://www.ibnrushd.org/forum/Muhannad.htm

بين هذه الشبكة وبين وسائل الاتصال الجماهيري، إلى حد يتنبأ فيه البعض بأن يُصبح الكمبيوتر الشخصي هو وسيلة الاتصال المجمعة لباقي الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية، وذلك في المستقبل القريب.

كذلك تورد المستشارة بالمركز القومي، الجوانب السلبية في الظاهرة، مثل نقل أساليب وقيم حياة جديدة ومختلفة، ومخاطر التشوه الثقافي، والمنافسة الحادة بين التقاليد الراسخة في المجتمع وما هو مستورد من مجتمعات الدول الغربية المتقدمة، في ظل الهوة الكبيرة في امتلاك تقنيات الاتصال واستخدامها بين الشمال والجنوب.

وتختلف مواقف الباحثين والكتّاب العرب حول تعريفاتهم للعولمة، إلا أنه ينبغي الإشارة إلى أن الغالبية العظمى منهم يشتركون في التأكيد على بعض الأمور المتعلقة بالعولمة لدى معالجتهم لها ومن بين هذه الأمور:

- اشتراكهم في التأكيد على ظهور نظام عالمي جديد نتيجة الانتقال إلى مرحلة ما بعد الحرب الباردة، وعلى أن هناك قطبا واحدا مهيمنا ومسيطرا في عملية العولمة وهذا القطب هو الولايات المتحدة الأمريكية، وسبب وجود قطب وحيد مهيمن، هو انهيار الاتحاد السوفيتي القطب الموازي للولايات المتحدة في القوة.
- التركيز الواضح لدى الغالبية منهم على البعد الاقتصادي للعولمة، لأن مفهوم العولمة له علاقة وطيدة بالاقتصاد والرأسمالية.
- اشتراكهم في التأكيد على ظهور تكنولوجيات جديدة خاصة مع صعود ثورة المعلومات وانتشارها.

ومهما كانت درجة اختلاف مواقف المفكرين والباحثين وممن كتب عن العولمة من العرب، وبالتالي انعكاس ذلك على تعريفاتها، ومهما بلغت الأمور التي قد يشتركون في التأكيد عليها بالنسبة لهذا المفهوم يبقى هذا المصطلح

واحدا من أكثر المصطلحات المختلف عليها التي لا يوجد اتفاق على تعريفها والتي يثار حولها الكثير من الجدل الأمر الذي قد يؤدي إلى تشتيت القارئ. ونرى أنه عند تناول المفاهيم الجدلية كالعولمة، فعلى الكتّاب تحري الدقة والموضوعية في معالجتها وعدم "الانتقاء" من أحد جوانبها كي يقرروا ما ينبغي أن يكون عليه تعريف هذا المفهوم استنادا إلى موقفهم السلبي أو الإيجابي منها.

ويتضح مما تقدم أن " العولمة" ذات خاصية فريدة وهي: " أنها عملية Process أو ظاهرة Phenomenon ليس من اليسير تعريفها، وقد تكون أقرب للتوصيف منها للتعريف، ذلك أنه وكما نعلم فإن الوصف يختلف من الزاوية الفكرية والأيديولوجية للواصف، كما أنه يختلف في مدى التركيز على عنصر معين في العولمة، فالمفكر العربي قد يرى في العولمة من منظور أولوياته وبنيته الفكرية ما يختلف عما يراه فيها المفكر الغربي، كما وتختلف مفاهيم كل باحث يتعرض لهذا الموضوع ما بين كونه دينيا أو قوميا أو ليبراليا أو ديمقراطيا أو يساريا، كما يختلف توصيف بنى العولمة الاقتصادية والثقافية والتقنية والتنموية، وهذا الرأي هو ذاته الذي سبق أن تبناه الأستاذ باتر محمد علي وردم:[1].

وفي نهاية هذا العرض الوجيز للتعريفات المختلفة "للعولمة" فإننا لا نجد بدًّا من أن نسخر قلمنا للإسهام بطرح وجهة نظر لوضع تعريف يقترب بها من واقع هذه الظاهرة، ومن ثم فإن "العولمة": هي تلك التي يتسع تأثيرها في العالم حالياً، وسيستمر طالما بقي ميزان القوى في يد عدد قليل من الدول، وتتميز بمجموعة من العوامل والقوى، تتحرك على مستوى قارات المعمورة متجاوزة الحدود الجغرافية للدول، فهي نتيجة للتقدم العلمي والتكنولوجي المتلاحق وثورة المعلوماتية المتجددة، تساندها التزامات دولية أو دعم قانوني، في ظل هيمنة

[1] باتر محمد علي وردم، العولمة ومستقبل الأرض، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ص : ١٣.

الدول المتقدمة التي تتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية بقيادتها، وسيادة نظام عالمي غير متكافئ، مع التركيز على إحداث تغيير في أنظمة وتشريعات الدول النامية وفي موروثها الثقافي والحضاري والاقتصادي، مستخدمة آليات متعددة، ومنتجة لآثار ونتائج تتعدى نطاق الدولة الوطنية إلى المستوى العالمي؛ لتربط العالم في شكل كيان متشابك الأطراف".

المطلب الثاني

آليـات العولـمة

أولا : الآليات المباشرة.

١- تحرير السوق العالمية والخصخصة.

سعت (أمريكا وبعض دول أوربا) إلى دعم النهج الاقتصادي الذي تعتمده على المدى الطويل إلى خلق مجال أو دائرة قابلة للتوسع بما يخدم الأهداف المستقبلية لهذه الدول، وقد كانت هذه الآلية والتي تعتمد على تحرير السوق العالمية الجديدة والخصخصة من أهم الآليات الاقتصادية في توكيد منهجية أو تأسيس هيكلة اقتصادية قادرة على الإيفاء بكل ما تحتاجه أسواق هذه الدول؛ لدعم منتجاتها وضمان تسويقها على نطاق واسع مما يعمل على اشتغال رأس المال وزيادة مردوده المادي ... وهو ما أدى إلى زيادة الاهتمام والاعتماد على قانون العرض والطلب والذي كانت له تأثيراته البعيدة المدى في خفض الأيدي العاملة وخفض الأجور، فرأس المال؛ وهو المادة الوحيدة أو هو الشيء الوحيد الذي لا بد من تنميته دون الاهتمام بالحدود أو البلدان أو الشعوب إلا بقدر ما ينفع هذه البلدان.

" هذا إلى جانب الانفتاح الاقتصادي وإلغاء التعرفة الجمركية، وتحرير التجارة وإقامة التكتلات الكبرى من الشركات العابرة للقارات، والبحث عن الأسواق في أي بقعة من العالم، كل هذا يسرع في تنمية مسيرة العولمة. وتتدرج في هذا الإطار السوق الأوروبية المشتركة والوحدة النقدية الأوروبية، وفي الجانب المقابل قامت الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والمكسيك بتأسيس منطقة التجارة الحرة لدول أمريكا الشمالية المسماة بالنافتا"[(١)].

٢- إقامة مؤسسات العولمة.

(١) المستقبل العربي العدد ٢٦١، السنة: ٢٠٠٠م، ص ٢٠٣.

تعد الشركات العابرة للقارات أو الشركات المتعددة الجنسية كما يسميها البعض، وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية هي المؤسسات الرئيسة أو الهياكل الاقتصادية المركزية التي تجسد تطلعات الدول المتقدمة وهي تعني – ضمن ما تعني – موتا محققا لدول العالم النامي والتي تتحدد مصالحها من خلال ما تتخذه من استراتيجيات لها نهجها الخاص لفرض قوانين مالية لها فاعليتها في مجال (السوق وتداول العملات، وتبادل المصالح، وترويج السلع) خاصة وأنها تعتمد في تطورها على (الاستفادة من فروق الأسعار أو نسبة الضرائب أو مستوى الأجور، انتهاءً بتركيز الإنتاج في المكان الأرخص ونقله إلى الاستهلاك في المكان الأعلى على مستوى الكرة الأرضية، ولم لا والعولمة هي صناعة الأسواق التي تضمن عالمية التصدير والاستيراد(١).

فمثلا الشركات المتعددة الجنسيات تتكون من عدة فروع تتوزع في أنحاء العالم من خلال الإنتاج والتمويل والتصدير والتوزيع مما جعلها تتسم بعدم التمركز في مكان واحد وبالتالي تتخذ لها مواقع متفرقة وكثيرة، فهي مثلا تقوم باستخراج المادة الخام من بلد معين وفي بلد آخر تقوم بتحويله على مادة وسيطة، لتنتجه على شكل مادة نهائية في بلد ثالث، وهكذا ...، كما أن هذه الشركات تعتمد على رؤوس أموال كبيرة لإنجاز مشاريعها، لذا تستطيع هذه الشركات تحريك أو تسيير أموالها بحرية بفضل قوانين حرية التجارة العالمية من أي مكان لأي مكان آخر، "وأهم مقياس متبع بالنسبة للشركات المتعددة الجنسيات هو رقم مبيعات هذه الشركات sales figure أو ما يسميه الفرنسيون رقم الأعمال chiffre d, affaires ويعتمد البعض مقياس رقم الإيرادات الإجمالية"(٢).

" أما صندوق النقد الدولي الذي أنشأ عام ١٩٤٤م بموجب اتفاقية بريتون وودز Bretton Woods والتي أصبحت نافذة في ٢٧ ديسمبر ١٩٤٥م ،

(١) المستقبل العربي العدد ٢٥٦ للسنة ٢٠٠م، ص: ٧٤.
(٢) د. محيى محمد مسعد، مرجع سابق، ص: ٦٠.

فقد بدأ يتحول بعد عام ١٩٧١م من هدفه الخاص بالمحافظة على ثبات أسعار تحويلات العملات إلى مهمة أخرى هي الإقراض[١]، ونتيجة استدانة بعض الدول النامية من هذا الصندوق وما يفرضه عليها من إملاءات تتعلق بإصلاح الاقتصاد، فقد سبب لها مآسي مالية واقتصادية وتضخم بلغ ٢٠٠% كما هو عليه الوضع في زامبيا.

أما البنك الدولي فقد انشأ بذات الاتفاقية التي أنشأ بها صندوق النقد الدولي، وبدأ نشاطه في يونيو ١٩٤٦م، ويعتبر الهدف الأساسي للبنك هو مساعدة البلدان النامية في رفع مستوى معيشتها مقاسا بمتوسط الدخل القومي بالنسبة للفرد بالإضافة إلى تنمية اقتصادها... "ولكن حدث في الثمانينات أن صاغ البنك توجهات جديدة فيما أسماه قروضا لضبط البنية، تهدف إلى زيادة قدرة الدول النامية على المنافسة في الاقتصاد العالمي. وتنص هذه التوجهات على تشجيع ودفع التغييرات السياسية الخاصة بالتحول إلى الأسواق المفتوحة، وتقليل الدعم، والخصخصة، وتقليص دور الحكومات، ولقد كشفت سياسات البنك عن انحيازه إلى الأيديولوجية الأنجلو أمريكية"[٢] .

"وتعتبر منظمة التجارة العالمية التي أنشأت بعدد من الاتفاقيات كان آخرها في ١٥ إبريل ١٩٩٤م حين أعلن وزراء مالية واقتصاد (١١٧) دولة في مراكش قيام منظمة التجارة العالمية"[٣] مع الهيئتين سابقتي الذكر حاملة لواء عولمة الاقتصاد، ويظهر ذلك جليا من خلال صلاحيات هذه المنظمة التي تخولها التفتيش على جميع الدول، ضمانا لحرية التجارة ومحاربة أي

---

(١) د. عاطف السيد، العولمة في ميزان الفكر، مرجع سابق، ص: ٢٠ .

(٢) د. عاطف السيد، مرجع سابق، ص: ٢١.

(٣) يوجد نص اتفاقية مراكش بإنشاء منظمة التجارة العالمية وملاحقها الثلاثة والقرارات الوزارية المصاحبة لها، إضافة إلى الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة لعام ١٩٤٧م في:

The Results of The Uruguay Round of Multilateral Trade Nrgotiations, The Legal Texts. First Published in June 1994 by the GATT Secretariat, Reprind in 1995 by the WTO, Center William Rappard, Geneva, Switszerland (558 pages).

كما يوجد نسخة من النص العربي الرسمي لتلك الاتفاقية وملاحقها الثلاثة لدى وزارة التجارة والصناعة بسلطنة عمان .

سياسة حمائية، كما كان الهدف من إنشائها صك القوانين التي من خلالها يمكن تسيير العالم تبعاً لأهداف الرأسمالية العالمية، أو تبعاً مع ما يتماشى وشروط الشركات المتعددة الجنسيات، ولها صلاحية التدخل لحل النزاعات التي تنشأ بين الدول في هذا المجال.

وبذلك تمثل المنظمات الثلاث مرحلة جديدة من مراحل تطور الرأسمالية وعولمتها وتكرسها سياسياً واقتصادياً سياسات هذه المنظمات العالمية، والاتفاقيات التي تبرمها وتصبح قانونا يتعين على الدول الالتزام بها، وهي بذلك تمتلك فعالية كبيرة في رسم وتوجيه السياسات الداخلية في معظم بلدان العالم. " ولا شك أن لمثل هذه التوجهات آثار اجتماعية كبيرة على أوضاع المجتمع المدني؛ حيث تؤدي برامج وشروط صندوق النقد الدولي فيما يسمى ببرامج التكيف الهيكلي في العديد من البلدان إلى انفجارات اجتماعية كبرى منها ما حدث في اندونيسيا واليمن"[1]، ولكن للباحث أن يتساءل علام تقوم سياسات هذه المؤسسات والمنظمات ليصبح لها هذه القوة وهذه الإمكانات في التحكم المباشر في العالم كله عبر الحدود ..؟ وكيف تأخذ قوتها في هذا الموقع الهام؟. وما هي سبل الهيمنة وسلطتها؟. قد لا يكون من الصعوبة استنتاج الإجابة على هذه الأسئلة من خلال الواقع الذي تعايشه هذه الدول؛ حيث نجد أن هذه المؤسسات قد أصبح لها وجودها الفعلي في كافة أنحاء العالم ومن خلال إحكام قبضتها على أوجه النشاط الاجتماعي كافة، استطاعت أن تقبض أيضا على سبل التنمية الاجتماعية فيها، دون أن تبذل أدنى مجهود في ذلك، مستغلة مفهوم التجارة كآلة من آلات المجتمع الضرورية والحيوية. وقد حددت هذه المؤسسات في برنامج عملها عدة توجهات ضرورية تعتبر أولى مهامها الرئيسية، وهي:[1]:

---

(١) جسور، العدد :١، فبراير سنة ١٩٩٩م، ص: ١٧.

(١) أمل فؤاد عبيد، مقال منشور على الحوار المتمدن العدد: ١٧٨٢ ، بتاريخ ١/١ / ٢٠٠٧م.

* اتجاه الشركات متعددة الجنسيات – ورغبة في الربح الكثير والسريع – إلى إقامة مصانعها وخطوط إنتاجها في الدول النامية، بالأخص الفقيرة وذلك لوجود سوق العمالة الرخيصة؛ حيث أن البلدان المتقدمة والتي تأسست فيها هذه الشركات ليس لها من دور سوى الأرباح بتقليل التكلفة.
* اتخذت لذلك السبب وسيلة (تصدير فرص العمل إلى الدول الفقيرة أو دول الجنوب) حيث تكاليف استعمال العمال ورسوم الضرائب منخفضة كثيرا عن دول الشمال، وبالتالي تحقيق ربحية أكبر، إلى جانب تسخير هذه الدول لتصنيع المواد الأولية للصناعات الكبيرة في الدول الرأسمالية.
* بناءً على إمكانية التقنيات الحديثة في مجال الاتصالات، استطاعت هذه المؤسسات التحكم في توزيع الإنتاج على أماكن مختلفة من العالم، ومن ثم التحكم في توزيع المنتجات والخدمات، بحيث أصبحت الصناعات المحلية لا قيمة لها بالضرورة، بالقياس إلى المنتجات العالمية.
* من خلال ما تنتهجه من سياسة توزيع الدخل والإنتاج تمكنت من توقيع الكثير من العقود بينها وبين تلك الدول؛ أو بينها وبين تلك المناطق التي تسمى بأماكن (الإنتاج المفردة) وبهذا تستطيع أن تمارس معاملاتها المادية التجارية بأقل التكاليف من دفع الضرائب أو دفع رسوم المنشآت الأساسية التي تنشئها، كما أنه في إمكانها فرض عقوبات كيفما ترى على الدول الوطنية التي ترفع أسعارها أو تحاول معاداتها، كما أنه بإمكانها سحب استثماراتها من بلد لآخر حسب ما تفرضه مصلحتها مما يتسبب عنه فقدان الآلاف من العمال لوظائفهم ويكون ذلك سبباً مباشراً لتفشي البطالة والفقر.
* تعمل هذه المؤسسات والمنظمات على الفصل بين الدول التي تشكل مناطق للإنتاج وتلك المناطق التي تجعلها مجالاً لاستثماراتها المالية،

وتلك المناطق التي تقيم فيها بنشاطها الذاتي وهي الأمكنة الأكثر جمالا وذات الضريبة الأقل تكلفة.

٣- الهيمنة الاقتصادية.

المقصود بالهيمنة الاقتصادية هو سيطرة أيديولوجيا واحدة على كل مناحي الحياة في كل بلاد العالم، ويأتي ذلك من خلال منهجية التغلغل الداخلي، وذلك بصياغة نمط رأسمالي يراد أن يكون هو النمط الوحيد الذي يؤخذ به داخل بلدان العالم، وبالأخص البلدان النامية؛ حيث أن هذه السيطرة ستفضي على أن تكون منظومة الرأسمالية هي المنظومة التي ستحد من تطور تلك الدول ويؤدي بها إلى التبعية اللازمة والضرورية لتأكيد مفهوم الهيمنة وترسيخ فاعليتها وذلك من خلال إعاقة أي مظهر من مظاهر النمو الاقتصادي المحلي بأن تأخذ بسبل تطوير نمط الإنتاج القديم على نمط الإنتاج الرأسمالي – الصناعي، كما حدث في المجتمعات الغربية، وقد تمت هذه الإعاقة عن طريق الآتي:

١- استنزاف فائض الإنتاج وتصديره إلى الخارج وعدم السماح بتراكمه داخلياً.

٢- تدمير الصناعات الوطنية التي يمكن أن تنافس المنتجات الصناعية للدول الغربية المتقدمة في الأسواق المحلية والعالمية، بإغراق الأسواق المحلية بالسلع والمنتجات المستوردة، هذه الهيمنة الاقتصادية تسهل عملية الاستلاب لأدوات هذه الدول والحد من إمكانات التطوير لكل ما يفيد العولمة وأهدافها المباشرة .

ثانيا: الآليات غير المباشرة أو الداعمة.

١ - الهيمنة السياسية.

منذ انهيار الاتحاد السوفييتي وأمريكا تسعى لأن تنفرد بالشأن السياسي العالمي دون أن يكون هناك منافس لها في إصدار القرارات، أو قطب يعيد للعالم التوازن المطلوب، ومنذ تلك اللحظة وهي تحافظ على مصالحها دون أن تقيم أي اعتبار لأي كيان دولي لغيرها، لذا كان من ضرورات ذلك تغيير

سياسات دول العالم كله، ومن يعارض ينعت بالدولة المارقة على غرار ما أطلق على العراق وسوريا وإيران وكوريا الشمالية، وكوبا، فما كان من الولايات المتحدة الأمريكية الراعي الأول للعولمة إلا أن صكت قوانين تجارية ترمي إلى سلب الدول أو الحكومات بمعناها الواسع حقها المشروع في القيام بواجباتها ومسؤولياتها التقليدية المعروفة، وما ذلك إلا لتسهيل ما تخطط له من فرض لسيطرتها وهيمنتها.

والغرض من هذه الهيمنة السياسية هو سحب الامتيازات الخاصة بـ (الدولة) أو (الحكومة) وذلك بأن يجعل منها سلطة غير قائمة بالفعل، فهي استراتيجية ضرورية لنفوذ المشروع (العولمي)، فعندما تضيع السلطة الوطنية والقومية إشرافها على شؤون الاقتصاد والتجارة والإعلام وتتركه (مخيرة) أو (مجبرة) لصالح الشركات متعددة الجنسيات ولفوضى السوق والتنافس الأعمى، فإن هذا يقود إلى دمار الهياكل الاقتصادية وضعضعة الاستقرار، وحلول مجتمع البقاء للأقوى، " لذا فإن استعادة الإرادة السياسية على الاقتصاد هي المهمة المستقبلية الأساسية"[1]، فقد تم توظيف (الانحسار التدريجي لسلطة الدولة مما أدى إلى فقدان الدولة لأدوارها الوظيفية الأساسية، إلا أن ذلك أثر بشكل أخطر على الدول الأقل نمواً حيث فقدت الدولة مصداقيتها في النهوض بمواطنيها، فمن الواضح أن جميع القادة السياسيين – رغما عنهم – لم يعودوا يمتلكون الكثير من المجالات السيادية الفعلية التي من أولوياتها اتخاذ القرار، إلا أنهم يتصورون بأنهم قادرون على حل المسائل الرئيسة، " وما يدل على ذلك أن الأزمات الدائمة في المالية الحكومية ليست سوى مظهر واحد من بين المظاهر الكثيرة للانحطاط السياسي، فإلى جانب افتقاد الدولة للسلطة، حيث يندفع مرتكبو الجرائم المتعدية الجنسية " [1] ويسهل

(١) المستقبل العربي العدد: ٢٦١، نوفمبر ٢٠٠٠م، ص: ٢٠٣، و٢٠٤.
(١) المستقبل العربي العدد: العدد السابق، ص ٢٠٤.

انتشار كافة ألوان الانحرافات الأخلاقية والسلوكية وتفشي صور لا حد لها من الجريمة وذلك للانتفاع فيما يعمل على ترويج المخدرات وكل ما يؤدي إلى تراجع الشعوب وتخلفها وبقائها في صفوف التابع للمراكز الاقتصادية العالمية الغربية.

كما أن كثيرا من المفاهيم السياسية قد فرغت من مضمونها الحقيقي، فمثلا نجد أن الديمقراطية قد تحولت ولصالح العولمة وأهدافها على مجموعة من القوانين والتدابير السياسية التي تعمل على تسهيل أداء اقتصاد السوق ليغطي كل مناحي الحياة؛ إذ تقاس قيمة كل شيء بالعائد المالي.

٢ – تبديد الهوية ونفي الخصوصية.

كانت أهم مساعي العولمة نحو تأكيد هويتها وترسيخ مفهومها والتي لا يتم لها ذلك إلا من خلال إستراتيجية أساسية ومحورية قد تبناها الفكر العولمي ألا وهي محو الخصوصيات الثقافية والفكرية والأيديولوجيات لكل البلاد التي تقع على هامش العولمة أو تلك البلدان التي تسمى بدول العالم النامي، والتي هي في موقع التابع، ولتكون لها التبعية الكاملة والشاملة، كان لا بد من خلق نموذج عولمي والعمل على دفع الدول إلى الاحتذاء به، وقد كانت السياسة الغربية تعمل على استبعاد العالم النامي من خلال فعالياتها العسكرية في الماضي وفرض السلطة العسكرية، لكن اليوم وقد تغير وجه الاستعمار الغربي لدول العالم النامي وقد اتخذت لها صورا أكثر تغلغلا في قلب هذا العالم منها السيطرة الفكرية والوجدانية والعمل على تفكيك البنية الفكرية والعقلية بكل انتماءاتها الدينية والأيديولوجية والفكرية، وكل ما ينتج عنها من سلوكيات كانت هدفاً لترسيخ وتأكيد النموذج الغربي في فكره وسلوكه؛ ذلك النموذج الذي يعبر عن نمط معين من الحياة شاع الاعتقاد بضرورة إتباعه بل وتبنيه كفلسفة ونظرة معينة إلى الحياة والكون، ومن أهم ملامح هذه الفلسفة وأهم بنودها الرئيسة هو التخلي عن فكرة الخصوصية، وقد كان لها ما تمنت من خلال

إلغاء الحدود الوطنية للبلاد أولا، ثم باكتساح هذا النمط لحياتنا؛ ولا يخفى نوع من التنميط السلوكي الإنساني أو السلوك البشري، في اتجاه ثقافة معممة، خاصة في ظل تزايد سرعة النقل والمواصلات واتساع الأسواق وإزالة الحواجز أمام انتقال المعلومات والأفكار، وهو الوضع الذي ساعد على إفراز تيارات على نقيض من العولمة، تحاول إحياء السلفية تحت تبرير الخصوصية الثقافية، ولذلك يقرر البعض بأن الهجوم الكاسح للعولمة سوف يؤدي على النكوص نحو التثبت بالثقافة والهوية القومية، ولعدم مواءمة ما يتم استيراده من النماذج الغربية لطبيعة احتياجات العالم النامي، وحيث إن الثقافة باتت مثلها مثل أي سلعة أخرى قابلة للتداول وعلى مستوى واسع النطاق إذ أنها تحررت من القيود الجمركية، كما أنها دخلت مجال المنافسة غير المتكافئة، فالدول التي تمتلك تقنية معرفية واتصالية ثقافية أكبر هي القادرة على التسويق في السوق العالمي، ولأن عدم التكافؤ بين الدول مسألة واردة، بل واقع لا مفر منه يصبح التبادل الثقافي بين الشعوب ضربا من الخيال، وهو ما ينتج عنه بالطبع انتشار ثقافة على حساب الثقافات الأخرى وقد تطغى بعض الثقافات على غيرها، مما ينتج عنه ضياع الخصوصية الثقافية لتلك البلدان التي هي أقل تطورا واقل إمكانات ثقافية متطورة .

من هنا تطرح قضية العالمية (عالمية الثقافة) نفسها، والسؤال الهام هو: هل تؤدي عولمة الاقتصاد إلى عولمة الثقافة ؟ ليس مؤكدا أنه بقدر ما نقترب من بعضنا البعض، وبالتالي من ثقافات وتقاليد متنوعة ومختلفة في مصادرها، قد يعود أكثر الشعوب أو جزء منها إلى البحث عن الهوية والتأكيد عليها خوفا من الضياع من دون أن يعني التأكيد على التمايز الثقافي، تأكيدا على الانقطاع الاقتصادي، فإن العالم اليوم يواجه فيضا من الأحداث والوقائع والأفكار والمفاهيم المتباينة والمتنوعة، وغزواً متواصلا من المعلومات والصور والقيم القادمة من الخارج، لهذا كان الإحساس بالهوية يتراجع يوما بعد يوم مما

آثار أزمة أصبحت من أهم المسائل التي تواجه التفكير الإنساني اليوم على المستوى العام.

ومن ناحية أخرى ونتيجة لهذه الأزمة بدت الأيديولوجيات التاريخية والتي تمثل مرجعيات ثابتة تمنح القوة والصلابة، فنجد أن انبعاثاً قوياً لأيديولوجيات قديمة، قد انبعثت بصورة مجردة من أي نزعة إنسانية كانت قد منحتها لها ظروفها التاريخية التي نشأت فيها، وهو ما أعطاها منحاً آخر بعيد كل البعد عن منحاها الأصلي، متخذة نهجاً جديداً لها يؤكد العودة إلى العصبيات القبلية والطائفية والمذهبية أو القومية الضيقة، تلك التي تبرر التطهير العرقي أو تلك التي تلغي أي قيمة روحية – إنسانية وتفتح الطريق نحو سلوكيات همجية، لا تضع حدوداً لسلوكها إلا قواها الذاتية،على حساب السيطرة والنهب والاستغلال والتلاعب بعقول الناس وأرزاقهم.

٣- الاختراق الثقافي من خلال التعليم.

لقد لمسنا من قبل محاولات عدة من جهة الغرب للاختراق الثقافي والعقائدي؛ شبهه البعض بأنه: " خليط من المقدس والمدنس وخليط من الثقافة المضيفة والثقافة والأفكار المستوردة تتداخل فيها ثقافات يستحيل التوفيق بينها وأبسط ما يمكن أن يقال عنها : أنها تهدد الهوية والانتماء وقيم حضارتنا التقليدية التي هي خلاصة جهد الآباء والأجداد عبر مئات السنين"[١] إذا الاختراق الثقافي ليس أسلوبا حديثا لم تخبره مجتمعات العالم النامي من قبل إنما هو آلة من آليات الهيمنة والسيطرة منذ تاريخ الاستعمار الأول . الدليل على ذلك ما حدث في بلدان المغرب العربي، إلا أنه إلى جانب هذه الوسيلة الفعالة استجدت على الآلة الاستعمارية أساليب ووسائل متطورة جاءت متكيفة بما يتناسب ويتلاءم والتطورات الفكرية والسلوكية لهذه المجتمعات، ولتتم

(١) جريدة عمان، العدد: ١١٦٢٦ بتاريخ ٢٠١٣/٤/١م، ملخص ورقة عمل لـ د. محمود السليمي، ندوة تطلعات الشباب في عالم متغير.

محاولات الاختراق الثقافي وتنجز مهمتها كان لا بد أن يكون ذلك مسبوقا بكثير من البحوث الأكاديمية والدراسات الاجتماعية والنفسية وتوظيفها لمعرفة الأبعاد الرئيسية لدول العالم النامي، كما أن التكنولوجيا الحديثة في كثير منها قد وظف بما يساعد على الاختراق الثقافي والإعلامي بهدف تغيير البنى الثقافية التقليدية، وتبديد أي تنمية مستقبلية لا تتفق وأهداف إستراتيجية العولمة الغربية، وتشتيت الفكر وتشرذم القوى السياسية والاقتصادية، وانهيار البنى السياسية التقليدية وانحسار السلطة الوطنية، كل ذلك بعد دراسة هذه البنى وهذه الهياكل وتحليل هذه القوى بكافة الوسائل العلمية وكافة الإمكانات التي أنتجتها العقلية الغربية (الأورو – أمريكية) . فإن الثورة العلمية المتمثلة في وفرة المعلومات وتراكمها وإتاحتها للاستعمال عبر وسائل المعلومات من أهمها الحاسب الآلي، كانت من القنوات المباشرة لغزو العقول ومن ثم السيطرة عليها بعد التأثير فيها وتوجيهها الوجهة المطلوبة، . يؤكد ذلك . ما حدث في بعض البلاد العربية من ثورات شعبية ساهمت إلى حد كبير وسائل الاتصال والإعلام في نجاح البعض منها، " فمن المشهور أن المعرفة سلطة وأداة هيمنة، ومن يملك المعرفة وأدوات توزيعها والقدرة على توظيفها، يملك سلطة التحكم في العقول التابعة، لذا كان الاهتمام في هذا المجال من أوجب مهمات العولمة وأهدافها الرئيسة من خلال توظيف تقنية الاتصالات وصناعة الثقافة، أو ما يسمى بالبنية التحتية للإعلام الشامل، لتوظيفها في توسيع قنوات الاتصال بأي شعب وفي أي مكان؛ خاصة وأن هذه التقنية التي تخترق جميع مجالات النشاط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ثلاثة قطاعات رئيسة؛ المواصلات ووسائل الإعلام والحاسبات الإلكترونية"[1] ومن ثم فإنه لا مراء أن ثورة المعلومات هذه كانت نتيجة حتمية للثورة الصناعية التي تمت قبلها، فإن ظهور وسائل الإعلام والتقنية الحديثة

(١) المستقبل العربي العدد:٢٥٦، ص:٦٥، نقلا عن غليون برهان، عن الوطن العربي أمام تحديات القرن الواحد والعشرين، ص: ١٢ .

ومنها على وجه الخصوص الدور الذي تلعبه شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ساعد على انتشار العولمة، وذلك بسبب سرعة الاتصالات وسهولتها أيضا، وهو ما ساعد على توفير المعلومة وسرعة الحصول عليها أيضا في أي مكان في العالم من هنا أيضاً يمكننا القول أن العالم بالفعل أصبح قرية كونية صغيرة.

٤- تعميم الثقافة الاستهلاكية.

إن من أهم الضرورات اللازمة لتحقيق عنصر هيمنة العولمة كان لا بد من وجود عامل مساعد لهذا الهدف، فقد كان من الضروري فتح قنوات جديدة لهذه العولمة من خلال إلغاء عادات وسلوكيات تتنافى وغايات العولمة من جهة، والسعي على نشر ثقافة جديدة وعادات وسلوكيات جديدة . من جهة أخرى . وخاصة وأن ثقافة العولمة لا يحركها سوى الاقتصاد ولا يدفعها سوى التقدم التكنولوجي وبما أن هذه الثقافة الجديدة تنمو في ظل التدفق السريع والكبير للسلع والمنتجات، كانت الثقافة الاستهلاكية الغربية الجديدة من أولويات التوجه الاقتصادي المعولم، وذلك من خلال خلق نموذج مدروس يفي بحاجات السوق العالمية، ولأن أمريكا تطرح نفسها كنموذج واحد لا منافس له، كان النموذج الأمريكي هو النموذج الذي لا بد أن يسود دائما بالتزامن مع تطورات السوق الأمريكية العالمية ومنتجاتها باستمرار، وفي ذات المسعى عملت على ترسيخ نمط الاستهلاك لدى الجماعات المختلفة وخاصة لدى سكان الدول النامية الذين هم أشد شغفا على اقتناء السلع الاستهلاكية التي تتغير يوميا لا في سبيل التطوير فقط؛ بل في سبيل زيادة حدة الاستهلاك على المستوى العالمي، وما الثقافة الاستهلاكية إلا تحقيق الهيمنة التي هي السبيل الوحيد للمحافظة على قدرة النظام العالمي الرأسمالي في تطوير ذاته، وتوزيع منتجاته وتأمين استقرار أوضاعه. " كما أن الثقافة الاستهلاكية كإحدى آليات العولمة الرأسمالية قد تم التخطيط لها والإشراف عليها من قبل الشركات متعددة الجنسية، وذلك لإنتاج

ثقافة تتواءم وتتكامل والسلع المادية المنتجة لها، ولهذا الغرض قامت الدول المتقدمة وبمساعدة مؤسسات تستخدم العلوم الاجتماعية والسلوكية في توظيف الدراسات المجتمعية والسلوكية، لمعرفة البنية الداخلية للمجتمعات بما تحويه من ثقافات مختلفة ومتنوعة وذلك لمعرفة نقاط ضعفها ومن ثم الاستغلال المدروس لنقاط الضعف وتوظيفها في خدمة أهداف هذا التوجه الثقافي المعولم. فكثيرا من القيم قد تبدل اليوم وحلت مكانها منظومة مغايرة تؤكد القيم المادية وتعززها، لقد أصبح زوال القيم المعنوية والأخلاقية لصالح القيم السلعية وهو ما تنبأ به ماركس في منتصف القرن التاسع عشر – أمرا واقعا في أيامنا هذه"[1]، وهو الأمر الذي جعل لهذه الثقافة الاستهلاكية دورا بالغ الأهمية في ترسيخ التطلعات الاستهلاكية، فقد تلاحظ اهتمام الإنسان في دول العالم النامي بالبحث عن الجديد في الأسواق بغض النظر عن حاجة الفرد إلى هذا الجديد من السلع، كما أن هذه الثقافة الاستهلاكية قد شملت كافة المستويات والفئات المجتمعية المختلفة، لذا نرى أن الاستهلاك لم يعد مقصورا على الطبقات الاجتماعية المقتدرة؛ إنما أصبح الاستهلاك بشكله الجديد معمماً على سائر فئات وطبقات هذه المجتمعات.

٥- وسائل الإعلام والتقنية الحديثة.

أخذت وسائل الإعلام على عاتقها الاهتمام بثلاثة توجهات رئيسة للقيام بمهمتها في نشر العولمة وهي: "تكنولوجيا الوسيلة ذاتها بحيث تؤدي عملها على أوسع نطاق؛ ثم المادة التي تنشرها وتبثها هذه الوسائل وما يمكن أن نسميه بعولمة الإنتاج الفني. "وقد تجاوزت وسائل الإعلام الصحف والمجلات والأشرطة إلى توظيف البث الفضائي وشبكة الإنترنت العالمية، إلى جانب أن عولمة الإعلام ذاته والمتمثلة في الوكالات العالمية للأنباء؛ إذ نجد مثلا أن أربع وكالات أنباء عالمية غربية تحتكر وحدها الخبر وتصوغه بكل حرية وهي

(١) روجيه جارودي، كيف نصنع المستقبل، ص: ٨ .

– الوكالة المشتركة للصحافة أسوسايتدبرس الأمريكية وهي أعظم وكالة أنباء عالمية، والوكالة المتحدة للصحافة يونايتد برس الأمريكية ، ورويتر الإنجليزية، وفرانس برس الفرنسية، فإذا كان الإعلام في السابق مرتبطا بالأرض فإن إعلام العولمة هو إعلام بلا وطن، فالفضاء اللامحدود مثلما هو الوطن الجديد للعولمة فهو أيضا وطن لإعلامها، إنه الوطن الذي تبنيه شبكات الاتصال الإلكترونية وتنسجه الألياف البصرية وتنقله الموجات الكهرومغناطيسية"[١]، وقد ورد تعريف لإعلام العولمة على اعتبار أنه من آليات الهيمنة التي تتخذها العولمة كهدف أساسي لترويج مادتها وسلعها المتنوعة عبر محيط لا نهائي له: [٢] " فالعولمة هي سلطة تكنولوجية ذات منظومات معقدة لا تلتزم بالحدود الوطنية للدول، وإنما تطرح حدودا فضائية غير مرئية ترسمها شبكات اتصالية معلوماتية على أسس سياسية واقتصادية وثقافية وفكرية، لتقيم عالما من دون دولة ومن دون أمة ومن دون وطن؛ هو عالم المؤسسات والشبكات التي تتمركز وتعمل تحت إمرة منظمات ذات طبيعة خاصة، وشركات متعددة الجنسيات، يتسم مضمونه بالعالمية والتوحد على رغم تنوع رسائله التي تبث عبر وسائل تتخطى حواجز الزمان والمكان واللغة لتخاطب مستهلكين متعددي المشارب والعقائد والرغبات والأهواء" .

إن ثقافة العولمة مستعينة بوسائل الإعلام الحديث تعمل على تعريب الثقافة الوطنية، أو تشويه البنى التقليدية وتغريب الإنسان، وعزله عن قضاياه، وإدخال الضعف والتشكيك في جميع قناعاته الدينية والعقائدية والوطنية والقومية والأيديولوجية، وذلك نلاحظه لدى عدد غير قليل من أبناء جلدتنا في بلدان الوطن العربي تحديدا، وهو ما يخلق لدى هذا الإنسان استسلام وإحباط يدفعه على الخضوع لكل ما يعرض عليه من ثقافات توجهها الدول المتقدمة التي

(١) المستقبل العربي، العدد: ٢٥٦، ص: ٧٦.
(٢) المستقبل العربي، العدد السابق، ص: ٧٦.

تعمل لصالحها الخاص فقط، وهذا التوجه الإعلامي المفتوح لا هدف له سوى طمس هوية الشعوب، فهذا الإعلام تتغلغل فيه قيم الرأسمالية التي تظهر وتؤكد تفوق الثقافة الغربية؛ على ما عداها من ثقافات أخرى.

ومن السمات الأساسية للإعلام المعولم بحسب وصف أحد الكتاب عن إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك أنه [1]: "إعلام متقدم من الناحية التكنولوجية ومؤهل لتطورات مستقبلية جديدة ومستمرة تدفع به إلى المزيد من الانتشار المؤثر في المجتمعات المختلفة.

ويشكل جزءً من البنية السياسية الدولية الجديدة التي تطرح مفاهيم جديدة لسيادة الدولة على أراضيها وشواطئها وفضائها الخارجي بما يعرف بالنظام السياسي العالمي الجديد.

كما يشكل جزءً من البنية الاقتصادية العالمية التي تفرض على الكل أن يعمل ضمن شروط السوق السائدة من صراعات ومنافسات وتكتلات، وسعي متصل لتحقيق الربح للمؤسسات التي تحتكره، بحكم انتمائها إلى أكثر من وطن وعملها في أكثر من مجال ... ولهذا فإنه يسعى إلى نشر وشيوع ثقافة عالمية تعرف عند مصدرها بالانفتاح الثقافي، وعند متلقيها بالغزو الثقافي. ويشكل جزءً من البنية الاتصالية الدولية التي مكنته من تحقيق عولمته وعولمة رسائله ووسائله، فهو ينتمي إلى أحد حقلي التكنولوجيا الأكثر تطوراً في الوقت الراهن والمحتكر بشكل مباشر للشركات المعنية بتصنيع وسائله والتي تشكل نسبة (٢٣%) من قائمة الشركات المائة الأكبر في العالم .

وهذا الإعلام لا يستند إلى فراغ فثمة اتفاقيات دولية تدعمها منظمات وقرارات تحدد استخدام شبكاته وتوزيع طيفه وموجاته السمعية وأليافه البصرية وبثه المباشر وتعريفاته الجمركية للصحف والمجلات والكتب والأشرطة والأسطوانات المدبلجة وأخيراً وليس آخرا وسائطه المتعددة .

---

(١) السيد أحمد عمر، مقال منشور في المستقبل العربي، العدد ٢٥٦ الصادر في يونيو ٢٠٠٠م.

ولهذا الإعلام نفوذه الخاص الذي يشكل قوة دامغة لتشكيل وعي وفكر معولم يفيد التوجه العولمي العالمي، فقد كان له مجالاته الخاصة به والتي تكشف عن هذا النفوذ بصورة واضحة ومرئية. فقد استطاع الإعلام في عصر العولمة أن يضغط من أجل الاهتمام بقضايا ومشكلات ظلت إلى وقت قريب بعيدة عن دائرة اهتمامات الدول؛ كقضايا حقوق الإنسان ومشاكل الأقليات والتمييز العنصري، وإن كان ذلك في المكان والزمان الذي تريده الولايات المتحدة الأمريكية، فالملاحظ أنه رغم الانفتاح الإعلامي فقد بقيت القضية الفلسطينية والتمييز العنصري الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني مهمشين واليسير مما يرد عنهما في وسائل الأعلام المختلفة وخاصة الغربية منها.

وقد استطاع الإعلام في عصر العولمة بوسائله التي تتخطى كل الحدود أن يعمل على تحويل المجتمعات والبيئات الداخلية إلى مجتمعات وبيئات عالمية، وهو أمر أثر في السياسات الداخلية وصانعيها في الدول المختلفة، فلم تعد قراراتهم ومواقفهم وتصريحاتهم خافية على عيون الإعلام، ونشاهد في واقعنا الحاضر أنه عندما تستحكم الأزمات والمشكلات الداخلية يتجه الناس إلى وسائل الإعلام الخارجية؛ فيتمكنون من خلالها من التعرف على ما يدور في بلادهم، رغم ما يمارس على مراسلي وسائل الإعلام من رقابة وتكتم على الخبر، وهذا ما حدث فعلا في الثورات الشعبية التي قامت مؤخرا في بعض البلاد العربية، إلا أن تعدد الوسائل أتاح تسريب عدد مما أرادت الأنظمة إخفاؤه.

واستطاع كذلك إعلام العولمة أن يكفل محيطاً ثقافياً واسعاً ونظرة أشمل على العالم وعمقاً في الاتصال الإنساني؛ فاستقطب بذلك الملايين عبر رسائله المبسطة في عالم مليء بالتعقيدات، فكان الاندفاع نحو وسائله وبخاصة التلفيزيون، أمراً شكل حافزاً للشعوب لكي تضغط من أجل التغيير، وقد نجحت إلى حد ما.

كما استطاع إعلام العولمة بقدراته التكنولوجية الهائلة أن يضعف من نظم الإعلام الوطنية ويزيد من تبعيتها له؛ لتنقل منه ما يجود به عليها من صور ومعلومات وإعلانات، واستطاع أن يوفر لوكالات الإعلان الدولية المناخ الملائم لنشر قيم المجتمع الاستهلاكي التي تعرض لثقافة جديدة على شعوب تحاول أن تحتفظ بذاتيتها وخصوصيتها الثقافية .

" وبالطبع لا يغفل ما لإعلام العولمة من أهداف ضمنية تسعى لتحقيق أهداف العولمة والهيمنة الاقتصادية العالمية، وما لهذا الإعلام من تأثر مباشر وخطر في آن على العقل والفكر خاصة لدى دول العالم النامي لما يعتريه من تفكك وانهيارات داخلية على كثير من الأصعدة، بل وعلى كثير من المستويات الثقافية والسياسية والاقتصادية، وغيرها من نظم المجتمع المختلفة، والتي تتعرض لهجمات متتابعة من قبل الثقافة الغربية التي تكرس التبعية على كافة الأنظمة في المجتمع دون استثناء"[1].

٦ - دعم السياسات الاقتصادية الليبرالية.

من بين أولويات البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي دعم السياسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الدول الأقل تطورا بما يتناسب ومصالح الدول المتقدمة، فمثلا يعتبر: نقل (الصناعات التقليدية من المراكز في الدول المتلقية لهذه الصناعات لتفادي تلوث البيئة في المراكز) عملية من عمليات تدويل الاقتصاد والثقافة تحت شعار (تخليص المجتمعات التقليدية من دائرة التخلف) برغم أن الواقع الفعلي يثبت عكس ذلك حيث تعمل الرأسمالية على استخلاص فائض إنتاج الدول المتخلفة ليضاف على حساب الفئات الرأسمالية العالمية، ويحل أزمة الداخل في الدول المتقدمة وليس في الدول النامية، حيث أصبح تعظيم الفائض الاقتصادي يتم على مستوى العالم ككل وليس على مستوى دولة بعينها، وهنا تغيرت موازين القوى على مستوى العالم بحيث

(١) المستقبل العربي، العدد :٢٥٦، ص: ٧٦ وما بعدها .

أصبحت الشركات متعددة الجنسية هي القادرة على التحكم عن بعد في بناء القوى المحلية ووفقاً لمصالحها الخاصة؛ وبجانب ذلك تكوين " قوى " من رجال الأعمال لا تنتمي إلى بلد بعينه تستطيع وفقاً لمواقعها على خريطة العالم نقل نشاطها من مكان إلى آخر تبعاً لمقتضيات تعظيم الفائض الاقتصادي الرأسمالي على النطاق الدولي، كما أن إعادة هيكلة الاقتصاد في دول العالم النامي يخدم وبشكل مباشر المؤسسات الكبرى.

المبحث الثاني
عالمية الدين والعولمة

إنه من الأهمية بمكان قبل تحديد مفاهيم عالمية الدين أن نبين وجه الفرق بين العالمية(Universalism) والعولمة ((Globalization) إذ أن هناك فرق بينهما فالعالمية تعبير عن مجال قد يكون بعيداً عن السياسة، والاقتصاد بل هي تعبير عن التنوع الثقافي، والعالمية تعني الاعتراف المتبادل، أو ما يسمى الاعتراف بالأدوار، بحيث يكون العالم منفتحا على بعضه مع الاحتفاظ بخصوصية كل أمة وفكرها وثقافتها وقيمها ومبادئها، وفي ذلك إثراء للفكر وتبادل للمعرفة مع الاعتراف المتبادل بالآخر دون فقدان الهوية الذاتية، ولقد كانت هذه هي السمة البارزة في الدين الإسلامي بشكل خاص وفي الحضارة الإسلامية والعربية، التي تقوم على مبدأ الاعتراف بالآخرين، واحترام

خصوصياتهم، وهو الأمر الذي أنتج حالة الاقتباس المتبادل بين الثقافات والحضارات البشرية.

إذاً العالمية لا تعني الهيمنة الاقتصادية كما لا تعني في الوقت نفسه أيضاً الهيمنة الثقافية، وإنما تعني التنوع وانفتاح الثقافة الخاصة على الثقافات الأخرى. أما العولمة، كما سبق تعريفها وكما يبدو من تطبيقاتها فهي تقوم على اجتياح للثقافات الأخرى ومحوها محواً كاملاً ما أمكن، وإذا كان لهذه الثقافات من بقاء فسيكون بقاءً شكليا لمجرد الاستمتاع وليس للتنمية وتطوير الإنسانية، إنها سيطرة الدول المتقدمة والغربية منها على وجه التحديد على الدول النامية، وهي إلى جانب السيطرة الاقتصادية والسياسية تمارس السيطرة الثقافية وتستخدم كل تنوع ثقافي في سبيل إرهاب الآخرين لجعلهم تابعين ثقافياً واقتصاديا وسياسيا.

إن العولمة بالصيغة التي يروج لها والتي يحاول الغرب فرضها على العالم لا تمثل تحدياً بقدر ما تمثل غزواً؛ فهي مشروع يتسلح بواقع الهيمنة على السياسة والاقتصاد. أما المصطلح الثاني وهو مفهوم الهوية: " فهي السمة الجوهرية العامة لثقافة كل مجتمع من المجتمعات، فهي ليست مشروعا ثابتاً جاهزاً نهائياً كما قد يفهم أحياناً، وإنما هي مشروع مفتوح على المستقبل ومتطور كذلك، أي انه متشابك متفاعل مع الواقع والتاريخ، وفضلاً عن هذا فهي ليست أحادية البنية، أي أنها لا تتشكل من عنصر واحد لها، هو العنصر الديني وحده، أو الاثني (العرقي) وحده أو اللغوي وحده، أو الثقافي الوجداني والأخلاقي وحده، أو المصلحي وحده أو الخبرة التراثية أو العملية وحدها، وإنما هي حصيلة تفاعل هذه العناصر جميعاً، وان برز إلى الصدارة أحد هذه العناصر على العناصر الأخرى في هذه المرحلة أو تلك من مراحل التاريخ وفي إطار الشروط الموضوعية السائدة أو الطارئة كما يؤصلها بوعي عدد من

الباحثين مثل د.محمد جابر الأنصاري وعبد الإله بلقزيز في دراساتهم عن جدال العولمة والهوية "[1].

وفي ضوء ما تقدم، سوف نقسم الدراسة في هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف " العالمية ".

المطلب الثاني: التمييز بين مفهوم العولمة والعالمية.

(١) د. غازي عبد الصبور، صحيفة الثورة، عدد الخميس الموافق ٧ / ٧ / ٢٠٠٥م، ص: قضايا فكرية.

المطلب الأول

تعريف "العالمية"

فالعالمية " لغة " بفتح اللام وكسر الميم وتشديد الياء مصدر صناعي[١] يرجع أصلها إلى كلمة عالَم بفتح اللام من العَلْم بفتح العين وسكون اللام .

فعله: علم من باب نصر وضرب أو من العلم بالتحريك فعله علم من باب فرح وكلاهما بمعنى السمة والعلامة.

وقد جاء في التنزيل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ على قراءة التحريك، بمعنى أن ظهور عيسى ونزوله بعد رفعه علامة تدل على قرب الساعة[٢]).

ويتضح المعنى الاصطلاحي لتلك الكلمة من خلال اشتقاقها ومفهوم العلماء لها، كما يلي:

١- قال قتادة: " العالمون جمع عالَمْ " ، وهو كل موجود سوى الله تعالى لا واحد له من لفظه [٣]).

٢- قال الزجاج: " العالم كل ما خلقه الله في الدنيا والآخرة " والعالم " لا واحد له من لفظه، وهو جمع أشياء مختلفة فإن جعل اسما لواحد منها صار جمعا لأشياء متفقة وجمعه عالَمُون" [٤].

٣- قال ابن عباس: العالم: " الجن والإنس " واستدل بقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [٥] ولم يكن نذيرا للبهائم[٦]. ويؤيد كلام ابن

---

(١) المصدر الصناعي هو أن يزاد على اللفظ ياء مشددة وتاء تأنيث كالحرية والوطنية والإنسانية والهمجية والمدنية، نقلا عن كتاب / شذى العرف في فن الصرف للشيخ أحمد الحملاوي، ص: ٦١ .

(٢) د. عماد محمد عمارة يس، عالمية الدعوى الإسلامية والتحديات الموجهة إليها، مكتبة عبدالرحمن، ص: ١٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج:١ ، ص: ١٣٨ .

(٤) فتح القدير للشوكاني، ج : ١ ، ص: ٢١ .

(٥) سورة الفرقان: الآية (١).

(٦) الجامع لأحكام القرآن، ج: ١ ، ص: ١٣٨.

عباس ما قاله الفراء وأبو عبيد من أن: " العالم عبارة عمن يعقل وهم أربعة أمم، الإنس، والجن، والملائكة، والشياطين، ولا يقال للبهائم عالم، لأن ذا الجمع جمع لما يعقل .

ومن ثم يتضح أن العالَمْ قد يتسع ليشمل ما سوى الله تعالى من إنس وملائكة وجن وشياطين وحيوانات ونباتات وطيور وجمادات ... إلى غير ذلك من مخلوقات الله تعالى ومما يكون دليلا على وحدانيته، قال ابن سيده: " لا يجمع شيء على فاعل بالواو والنون غيره على أن يكون من جملة الألفاظ الملحقة بجمع المذكر السالم" (١).

ويؤيد هذه المعاني ما ورد في القرآن الكريم من أن الله تعالى جعل لكل نوع من المخلوقات أمة بأسرها ينتظمها قانون الله في الحياة وناموسه في الخلق، وكتب على تلك الأمم من المخلوقات جميعها الحساب والوقوف بين يديه للعرض والمساءلة . قال تعالى:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾(٢).

وقال جل شأنه : ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَابًۢا ﴾(٣) .

وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾(٤). وقد وردت أحاديث حول هذا المعنى من أن الله يقتص يوم القيامة من الشاة القرناء للشاة العجفاء حتى يفصل بين جميع الحيوانات، ثم يقول لها عودي كما كنت، فيقول الكافر حينئذ يا ليتني كنت ترابا مثل تلك الحيوانات، وقد ثبت أن الحصى سبح في يد رسول

(١) لسان العرب ج : ١٢ ، ص:٤٢١ مادة علم.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.
(٣) سورة النبأ، الآية: ٤٠.
(٤) سورة التكوير، الآية: ٥.

الله ﷺ، والحجر والشجر سلم عليه، والجذع حن لفراقه والضب كلمه[1]، ويجمع ذلك كله، قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[2].

ومن ثم يتضح أن دعوته ﷺ شملت كل المخلوقات، وجميع الكائنات.

ويكون لفظ العالمية مشتق من لفظ العالمين الذي هو لفظ شامل لكل موجود سوى الله تعالى.

ومن ذلك نستخلص أن "العالمية " تعني توجيه دعوة النبي ﷺ إلى الناس كلهم على مختلف أجناسهم وقومياتهم ولغاتهم وأوطانهم، فلقد جاء ليخاطب الناس كافة ويمد يده إليهم ليخرجهم من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الدنيا إلى عدل الإسلام، لا تصده عن هذا الهدف حواجز عرقية أو مذهبية أو طبقية أو جنسية أو جغرافية يؤيد هذا قوله تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[3].

وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[4].

﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[5].

---

(١) الوفا بتعريف حقوق المصطفى، ج:١ ص: ١٦١ ، والسيرة لابن كثير، ج: ١ ، ص: ٣ ، والسيرة لابن هشام ج: ١، ص: ٢٣٤ . وقد وردت في تلك الكتب معجزات حسية تشير إلى عالمية رسالته (ص).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: (١٥٨).

(٤) سورة الفرقان، الآية: (١).

(٥)سورة الأعراف، الآية: (١٥٨) .

فالخطاب الإسلامي كما جاء في كتاب الله تعالى عالمي النزعة والوجهة، لا يحفل بجنس ولا يتحيز لعرق، وقد حفلت مفردات القرآن الكريم بنداءات الناس جميعا: يا أيها الناس، يا بني آدم وتكررت فيه لفظة " العالمين " ولفظة "من" التي تفيد العموم والشمول لكل من يعقل، وتحققت عالمية الخطاب في سيرة المصطفى ﷺ حيث حرص على دخول الناس في دين الله أفواجا ولم يقصر دعوته في المحيط الذي هو فيه، فما ترك وسيلة يبلغ بها رسالة ربه عز وجل إلى القريب والبعيد إلا سلكها، وكانت رسائله إلى الملوك والأمراء والعظماء في عصره هي الانطلاقة الأولى للعبور بالدين الإسلامي من جزيرة العرب إلى آفاق العالم المعروفة آنذاك.

وعن أنس (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي، وإلى عبد وجيفر ابني الجلندى الذين كانا يقيمان في صحار من أعمال عُمان يدعوهم إلى عبادة الله تعالى والإيمان به[1].

وكان لرسائل الرسول ﷺ دور كبير في تعميم الإسلام ونشره وتبليغه للناس وتذكيرهم بما سبق التمهيد له والتبشير به على لسان الأنبياء الذين أرسلوا قبل الرسول محمد ﷺ ، وقد منَّ الله على بعض الملوك والأمراء الذي تم مخاطبتهم من قبل الرسول عليه السلام، فدخل بعضهم في الإسلام وأسلم معهم قومهم، ويكفي في هذا المقام الإشارة إلى رسالة الرسول ﷺ إلى هرقل عظيم الروم، فقد أرسل الرسول هذه الرسالة سنة ست للهجرة، بعد رجوعه من الحديبية، وكان وصولها إليه في المحرم سنة سبع للهجرة، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي وابن أبي عمر ومحمد بن رافع وعبد بن حميد، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس؛ أن أبا سفيان أخبره، من فِيه إلى فِيه. قال : انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ. قال : فبينما أنا بالشام، إذ جيء بكتاب من رسول الله ﷺ إلى هرقل. يعني عظيم الروم؛ فيه " بسم الله الرحمن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه .

الرحيم . من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد؛ فاني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون"[١]. فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكثر اللغط، وأمر بنا فأخرجنا، قال: فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أمِرَ أمْرُ ابن أبي كبشة. إنه ليخافه ملك بني الأصفر، قال: فما زلت موقنا بأمر رسول الله ﷺ أنه سيظهر، حتى أدخل الله علي الإسلام[٢].

ومما جاء كذلك من الأحاديث الدالة على عالمية الدعوة الإسلامية، حديث عن يونُسُ بن عبدِ الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: وأخبرني عمرٌو؛ أن أبا يونُسَ حدثه عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: " والذي نفسُ محمدٍ بيده، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌ ولا نصرانيٌ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به، إلا كان من أصحاب النار"[٣].

وقال رسول الله ﷺ " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة "[٤]

وإذا كانت الأدلة قطعية على أن الدين الإسلامي عالمي للناس كافة، فإنه ما من ريب أن ما من كتاب سماوي أنزل على نبي أو رسول إلا له بعد عالمي بالضرورة، وإن اختلف بعد الدعوة التي أرسل بها النبي أو الرسول الذي أنزل

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٦٤).
(٢) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٠٦-٢٦١هـ ، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، ص: ٧٩٥-٧٩٧ .
(٣) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٠٦-٢٦١هـ ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي، المرجع السابق، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص: ١١٥ .
(٤) الشيخ / عبدالرحمن بن ناصر البراك، شرح جامع الأخبار ، ك ١٧ ، م ١٣.

عليه ذلك الكتاب من حيث الزمان والمكان والأشخاص والقوم المبعوث إليهم، إلا أن لغة الخطاب الديني بشكل عام تتسم في مضامينها بالعالمية والإنسانية، فالرسالة السماوية تؤكد على أن الدين المطالب التبليغ به من قبل النبي أو الرسول هو رسالة الله للناس أجمعين، وهي ليست حكرا على مجتمع ما دون غيره من المجتمعات.

وعليه فإن لغة الخطاب الديني ذاتها هي لغة تستطيع أن تستوعب وأن تستغرق بداخلها كل بنى الإنسان بصرف النظر عما بينهم من فوارق مجتمعية، فهي تستطيع أن تذيب كل هذه الفوارق وأن تخلق انتماءات أخرى جديدة قادرة على احتوائهم"(١) .

ولا أدل على ذلك من أن الرسالة الإلهية واحدة، وهي: الإيمان بالله تعالى، الواحد الأحد الذي لا شريك له ولا مثيل له، وتعبيد الخلق له وحده دون غيره. والأنبياء والرسل من . آدم عليه السلام . إلى محمد ﷺ دعوة البشرية في كل زمان ومكان إلى هذه الرسالة الواحدة المعنية، وإذا كان قد حدث نسخ فإنه لم يتجاوز بعض الشرائع التي جاءت بها. وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِ ﴾(٢).

(١) جابر علي خطاب أزمة الإنسان العربي المعاصر في ضوء إشكاليات الانفتاح والعولمة، ص : ١٧١ .

(٢) سورة الشورى، الآية: (١٣).

وقد جاءت هذه الرسالة السماوية، العالمية الواحدة لكل البشر، في كل مكان وزمان، بعقائد وشرائع وقيم أخلاقية، تكفل لهم السعادة الحقة في الدنيا والآخرة، وتحررهم من عبادة الطواغيت والأصنام ليعبدوا الله الواحد الأحد.

وهناك قيم مطلقة لا تتغير ولا تتبدل من زمان إلى زمان ولا من مكان إلى مكان، ولا من أمة إلى أمة؛ فهي قيم عالمية كوكبية، وعلى رأس هذه القيم " العدالة " ولهذا كانت القوانين التي تتصف بالعدالة مطلقة، يتلقاها البشر بالرضا والاحترام في كل العصور، والعدالة هي الأساس الأخلاقي للقوانين الدولية، وقد أثبتت القيم المطلقة مذاهب فلسفية معاصرة عديدة ، لعل أهمها مذهب نيكولاي هارتمن، وماكس شيلر وأستاذهما إدموند هسر لم"(١).

(١) من كتاب الإسلام والعولمة، بحث للدكتور، أحمد عبدالرحمن " العولمة : وجهة نظر إسلامية ص: ٩٢ وما بعدها .

المطلب الثاني

" التمييز بين مفهومي العولمة والعالمية "

نظرا لما قد يثيره التقارب أو التشابه بين مفهومي " العالمية " و " العولمة " من لبس أو غموض قد يؤدي إلى خلط مضلل أو إلى اختلاط في الأفكار والتصورات، فإن التمييز بينهم أمر يفرض نفسه على موضوع هذه الدراسة، ونظرا إلى أن موضوعها عن العولمة فهي ليست بحاجة إلى توضيح باعتبار أن الدراسة في عمومها كفيلة بتوضيح هذا المفهوم، أما " العالمية " فهو مفهوم يتطلب منا توضيحه في هذا المطلب، وبالتالي سيتم دراسة الآراء والمفاهيم التي قيلت فيه بشكل معمق.

وفي هذا الإطار يذهب البعض أن " العالمية " هي: نزعة إنسانية وتوجه نحو التفاعل بين الحضارات والتلاحق بين الثقافات والمقارنة بين الأنساق الفكرية والتعاون والتساند والتكامل والتعارف بين الأمم والشعوب والدول، بحيث يصبح العالم منتدى حضارات، بينها مساحات كبيرة من المشترك الإنساني العام، ولكل منها هوية ثقافية تتميز بها ومصالح وطنية وقومية وحضارية واقتصادية وأمنية لا بد من مراعاتها في إطار توازن المصالح ".

ويتفق بعض الباحثين مع الرأي السابق، حيث يرون أنَّ: " العالمية تشير إلى الطموح وإلى الارتقاء بالخصوصية إلى المستوى العالمي، أو بعبارة أخرى هي: انفتاح المحلي على ما هو عالمي أو كوني، وبالتالي فإن التطلع إلى العالمية هو طموح مشروع يعكس الرغبة في الانفتاح على الآخر بهدف تبادل الأخذ والعطاء، وبهدف الحوار والتعارف بين الحضارات والثقافات، وهكذا يمكن النظر إلى العالمية باعتبارها إثراء للهوية الذاتية " أما العولمة فهي إرادة

للهيمنة، وبالتالي فهي محاولة لقمع الخصوصيات القومية، إنها محاولة لاختراق الآخر وسلبه خصوصيته "[1].

وترى باحثة في هذا المجال أنه: " لا بد من التمييز بين العولمة والعالمية، فمن طبيعة الفكر والعقيدة والايدولوجيا أن تسعى إلى العالمية، أي إلى رفع الخصوصية إلى المستوى الإنساني العام، هكذا الإسلام دين أممي، وهكذا المسيحية حين عملت على توسيع رقعة انتشارها في أنحاء الأرض – وقد قوي هذا الاتجاه خاصة بعد اعتناق الإمبراطور قسطنطين الأول للمسيحية – وهكذا أيضا الثورة الفرنسية التي أراد بونابرت أن يحمل مبادئها إلى الشعوب الأخرى، والأيديولوجية الماركسية التي عرفت رواجا في القرن الماضي في أكثر من بقعة في العالم"[2] .

ويتضح من استعراض رأيي المفكرين أن مفهوم العالمية ينطوي على مضمون إيجابي يتمثل في سعي الشعوب ذاتها نحو التفاعل مع غيرها على المستوى العالمي وصولا إلى أرضية مشتركة على مستوى البشرية ككل، وبحيث يتاح لكافة الحضارات والثقافات أن تتفاعل وأن تتبادل التأثير والتأثر فيما بينها على نحو متكافئ، وذلك على عكس العولمة التي تستهدف التأثير فقط دون التأثر، أي أنها عملية في اتجاه واحد فقط ذات طبيعة إملائية، في إطار السعي إلى فرض قيم ومعايير وأنماط ونظم طرف معين على بقية الأطراف الأخرى التي يتسم موقفها عادة بالسلبية وعدم القدرة على التأثير.

"وإذا كانت العالمية على نحو ما تقدم، فإن مفهوم عالمية الإسلام يختلف اختلافا كبيرا مع مفهوم أو معنى العولمة التي تبنتها أمريكا أو الغرب كله اليوم، فإذا كانت العالمية الإسلامية تقوم على أساس أن الله تعالى خلق جميع

(١) د. ممدوح محمود منصور، العولمة ـ دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد، ص: ١٧ ، نقلا عن الباحثين د. محمد عمارة ومحمد عابد الجابري.

(٢) د. عثمان هندي، د. نادية جبر ـ العولمة وسيادة الدولة الوطنية، نقلا عن زهيدة جبور، دار الهدى للنشر والتوزيع، ص: ٢٠.

البشر من نفس واحدة، وجعلهم متساوون في الحقوق والواجبات وحفظ النفس والمال والعرض، وأنهم جميعا شركاء في العبودية لله تعالى، وأنه لا فضل لعربي على أعجمي ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى والعمل الصالح، وأن الله خلق الناس جميعا وجعلهم مختلفين في الجنسيات والشعوب واللغات ليكون هناك تعارف وتآلف وتعاون بينهم لا يتعالى بعضهم على بعض ولا يسيطر أو يتسلط بعضهم على بعض. قال تعالى: ﴿ يأَيُها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[1].

فالعولمة الإسلامية أو العالمية الإسلامية هدفها نشر القيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية، والحفاظ على الكرامة الإنسانية لكل البشر، وتأكيد حق كل إنسان في الحرية والمساواة وحماية الأنفس والمعتقدات والعقول والأموال والأعراض، وإقامة موازين العدل بين الناس وصيانة مؤسسة الأسرة واحترام المرأة ومنع الظلم والاستغلال في كل أشكاله وصوره" [2]، وقد كفل هذا لعالمية الإسلام أن تكون ذات قيم عامة عادلة لا تكيل بمكيالين على نحو ما يحدث في عولمة الغرب التي تمثل هيمنة أيدلوجية لمن يمتلك القوة المادية.

بينما يتجلى أن العولمة في حقيقتها: فرض هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية من الدول المصدرة لها والتي لا يردعها رادع عن نشر فكرها وثقافتها وفتح الأسواق بما يسمح لتدفق منتجاتها بشتى الطرق والوسائل بين أوساط الدول وخصوصا الدول النامية بما فيها الدول الإسلامية، بل إن أذرع

---

(١) سورة الحجرات، الآية: (١٣).

(٢) نقلا عن: د. ليلى سليمان علي بكر، من كتابها ظاهرة العولمة وموقف الإسلام منها، الذي تشير فيه إلى كتاب: الإسلام في عصر العولمة للدكتور / محمود حمدي زقزوق، ص: ١٧ ط . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، سلسلة تصدر غرة كل شهر عربي العدد (٥٣) ١٤٢٠هـ ت ١٩٩٩م.

هذه العولمة لا تتردد في أن تصل إلى دول حليفة أو أنها تعد متقدمة على غرار تلك الدول المصدرة لهذه الظاهرة، والدليل على ذلك ما يسود في الأوساط الفرنسية من قلق على خصوصيتهم الثقافية من تأثير هذه الظاهرة على تلك الثقافة، والحال ليس بمختلف لبلد مثل اليابان وغيرها من الدول المتقدمة اقتصاديا، فهذه الظاهرة أي " العولمة " شئنا أم أبينا شديدة التعقيد وتلجأ الدول المصدرة لها إلى الخداع بفضل التطورات العلمية والثقافية والإعلامية المختلفة التي تمكنها من تزيين وتحسين الصورة الحقيقية لها .

بقي أن نشير في هذا المبحث إلى أن الإسلام بمفهومه القرآني المشرق اسم للدين الإلهي الذي جاء به جميع الأنبياء والرسل، وانتسب إليه أتباعهم جميعا يقول سيدنا نوح لقومه: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [1]. ويقول الله تعالى في شأن إبراهيم وهو يوصي بنيه ويعقوب، ثم يجيب أبناء يعقوب على توصية أباهم: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ {١٣٢} أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسحَاقَ إِلهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ{١٣٣﴾[2] ويقول موسى عليه السلام لقومه : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [1] ويقول الحواريون لعيسى :﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [2]، كما خاطب

---

(١) سورة يونس، الآية (٧٢).
(٢) سورة البقرة، الآيتين: ١٣٢، و١٣٣.
(١) سورة يونس، الآية: (٨٤).
(٢) سورة آل عمران، الآية: (٥٢).

الله الرسل جميعا مبينا أن الإسلام والتوحيد قد أمر به كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام . قال تعالى . ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [٣].

ويقول النبي ﷺ : " مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ! قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين "[٤].

(٣) سورة الأنبياء، الآية (٩٢).
(٤) صحيح مسلم ـ الجزء (٢) ص: ٣١٥ .